الفصل السابع

الإسلام والغرب حوار أم اقتتال

obeikandl.com

obeikandl.com

كوميديا اللحم المكشوف في أوستراليا

يكشف هذا التصريح لمسلم غربي عن الرغبة بالاقتتال والمواجهة مع الغرب وثقافته. فمازالت تنطلق تصريحات من المسلمين هنا وهناك تعبّر عن عقد جنسية يحملها البعض، ويعبّر عن عقده بخطاب يسميّه إسلامي. كما تدلّ مثل هذه التصريحات الغبية عن عدم تفهّم المسلمين الغربيين للحضارة الغربية التي اختاروا هم بمحض إرادتهم الانتماء إليها. ففي العام ٢٠٠٦ وفي إحدى خطب الجمعة في مدينة سيدني الأوسترالية تحدث الشيخ تاج الدين الهلالي عن الحجاب الإسلامي وشبّه المرأة التي لاترتدي الحجاب الإسلامي باللحم المكشوف الذي يجذب الكلاب الجائعة. وفسّر المعنيون الأوستراليون تلك التصريحات بأنها تبرر الاعتداء الجنسي على المرأة غير المتحجبة، وتدعو لاحتقارها وإذلالها. فتسببت تلك التصريحات في خلق أزمة كبيرة بين الجالية الإسلامية والسلطات الأوسترالية. فقامت رابطة المسلمين اللبنانيين بطرده من عمله، وعمّمت على الخطباء الالتزام بالقوانين العامة في خطبهم وتصريحاتهم.

ولو كان هذا الخطيب يلقي علومه الحضارية هذه في أية مدينة عربية لما استطاع وصف النساء غير المحجّبات بهذه الأوصاف، وإذا كان خطباء بلداننا أكثر اعتدالاً من أولئك المغتربين فما هي الأسباب التي تدعوهم إلى التمادي بالتطرف. والانصراف إلى معاداة العلمانية ؟

الغرب يحاور ويواجه المسلمين

رغم أحداث التصادم بين الغرب والإسلام فإنّ الحوار بين الغرب والإسلام ظلّ قائماً باستمرار ومازال يأتي من كلا الطرفين ويعبّر عن رغبتهما باستمراره ، ففي الأيام التي تلت هجمات الحادى عشر من سبتمبر، وكانت أصعب اللحظات في العلاقة بين الإسلام والغرب، عقد جورج بوش الصغير اجتماعاً مع زعماء الجماعات

الإسلامية في البيت الأبيض. وبرزت يومها إمكانية فتح حوار مفيد لكلا الطرفين. وفي ذلك اليوم قال الشيخ حمزة يوسف:

إن الإسلام هو الذي اغتيل في قصف تلك الأبراج. كما قدّم الرئيس لضيوفه غصناً من الزيتون تعبيراً عن الرغبة بالحوار والسلام. ثم اجتمع الرئيس بوش مع القادة الأمريكيين المسلمين فى أول حفل إفطار يحضره رئيس غربي مع الجالية المسلمة. وتبادلوا كلمات الغزل التي تعبّر عن الرغبة بالحوار والتفاهم. لكنّ ذلك الحوار لم يستمر، فاتّجه الطرفان بعد ذلك إلى تبادل الاتهامات، فيما قامت الولايات المتحدة باحتلال أفغانستان والعراق، وبدأت بتهديد سورية وإيران، وطوال تلك السنوات، ظلّت الشرطة الأمريكية تلاحق وتعتقل المسلمين الأبرياء داخل أراضيها وخارجها.

فالغرب ماض في سياسة مزدوجة فيها الحوار وفيها المواجهة مع المسلمين جميعاً. ومن شخصيات سياسية غربية مرموقة هناك تصدر انتقادات قذرة للإسلام ولأهله، وبنفس الوقت تصدر اعتذارات وتعبير عن الرغبة بالحوار، فالرئيس الأمريكي بوش يعلن ذات يوم بأنها حرب صليبية على المسلمين. ثم يعتذر ويستبدل عبارته. وليس ذلك إلا تحايلاً على المسلمين جميعاً.

مراقبة الثقافة الإسلامية في الغرب

يجري الأمريكيون مراقبة دائمة وتحقيقات عن المناهج والمدارس الإسلامية في الولايات المتحدة كلها. ونشرت نتائج بعض التحقيقات على هذا النحو:

في مدينة نيويورك: كشف تحقيق من قبل نيويورك دايلي نيوز في ٢٠٠٣ عن أن الكتب التي يتم استخدامها في المدارس الإسلامية بالمدينة "تمتلىء بالأخطاء وعدم الدقة، والأحكام المطلقة والشاملة بإدانة اليهود والمسيحيين، وأفكار وتعبيرات تدعو إلى الإيمان بتفوق وسلامة وصحة الإسلام بالمقارنة مع الأديان الأخرى.

وفي لوس أنجلوس: أهدت مؤسسة عمر بن الخطاب ٣٠٠ نسخة تحمل عنوان (معاني القرآن الكريم) إلى إدارة المنطقة التعليمية بالمدينة في عام ٢٠٠١، وخلال بضعة شهور تم جمعها من المكتبات المدرسية بسبب ما جاء فيها من شروح وتفسيرات معادية للسامية. تقول إحدى التفسيرات أو التعليقات الواردة في كتاب معاني القرآن الكريم: "يَدعِي اليهود في تكبر أن قلوبهم انطوت على كل حكمة الله وعلمه. وإن إدعاءهم هذا لا يشهد فقط على كبرهم وغطرستهم وإنما أيضاً على افترائهم وكذبهم على الله. ولأجل هذه العبارة ومثيلاتها تم سحب النسخ بكاملهاوحظر تداول الكتاب.

وفي أجاكس، أونتاريو: معهد التعليم الإسلامي هو الطبعة الكندية لمدارس دوباندي الباكستانية. يهتم المعهد بالأمور الدينية فقط، يُلزم طلابه بحفظ القرآن، ويطالبهم بالانعزال والانفصال الكامل عن الحياة والثقافة الكندية، ويشترط الفصل الكامل بين الجنسين. وقد شكا طلابه السابقون من إخلاص وتفاني المدرّسة لرئيسها، عبدالماجد خان، بطريقة لا تراها إلا في جماعة دينية سرية، على حدّ قولهم. ومدرسة الجالية الإسلامية في بَتومَك، ام دي.، تتهم بأنها تملأ طلابها بشعور من الانفصال والاغتراب عن بلدهم.ويأتينا المراقب بهذه الأمثلة:

قالت ميريام بالصف السابع لمراسل الواشنطن بوست في ٢٠٠١، "كوني أمريكية لا يعني سوى أنني وُلدت في هذه البلد." وصرح إبراهيم في الصف الثامن أن "كوني أمريكياً لا يعني شيئاً بالنسبة لي".

وفي الأكاديمية السعودية الإسلامية بأليجزاندريا، ومنذ عام ٢٠٠٤، يحوي أحد كتب المناهج، وهو من تأليف ونشر وزارة التعليم السعودية، عبارة تقول: "كل الأديان، بخلاف الإسلام، هي أديان محرّفة وضالة، بما فيها دين اليهود ودين المسيحيين." ولهذا السبب تم حظر تدريسه.

مراقبة معهد العلوم الإسلامية

قامت حكومة الولايات المتحدة في عام ٢٠٠٤ بإلغاء تأشيرات دخول ستة عشر شخصاً ينتسبون لمعهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا ، بفارفاكس، "جاء ذلك عقب توجيه اتهامات للمعهد ، الذي هو بمثابة معهد تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ومتصل بها عبر الأقمار الصناعية ، مضمون هذه الاتهامات هو أنه يقوم بالدعوة لنوع من الإسلام يرى النقاد أنه إسلام متشدد متعصب لا يتسامح ولا يتعايش مع غيره من صور الإسلام ولا مع المسيحية واليهودية." فضلاً عن ذلك، فقد وضع المعهد تحت التحقيق لشبهة وجود صلات له بالإرهاب.

الجيل الجديد أكثر تشدداً

نذكر هنا النتائج الرئيسية لاستطلاع رأي أجراه معهد بحثي يميني، وهو معهد المبادلات الأمنية في بريطانيا:

استطلع خلاله آراء عينة عشوائية شملت أكثر من ألف مسلم ومسلمة يعيشون في أنحاء مختلفة من بريطانيا وقد أثار الاستطلاع جدلاً ومخاوف في المجتمع البريطاني، إذ كانت من ملامحه الرئيسية زيادة التشدد بين الشباب المسلم الذي يعيش في هذا البلد ، وأن الجيل الأحدث أكثر تشددا من آبائهم:

٨٦ ٪ من المسلمين يشعرون أن الدين أهم شيء في حياتهم.

٣٦ ٪ من الشريحة العمرية بين ١٦ - ٢٤ عاماً يعتقدون بأنه ينبغي قتل من يتحول من الإسلام لاعتناق دين آخر، مقارنة بنسبة ١٩٪ بين من تتجاوز أعمارهم ٥٥ عاماً.

٦٢ ٪ من الشريحة ١٦ - ٢٤ عاماً يعتقدون أن المشترك بينهم وبين غير المسلمين مثله مثل ما يجمعهم ببقية المسلمين، مقارنة بقاسم مشترك أكبر في الشريحة العمرية التي تتجاوز ٥٥ عاماً، بلغ ٧١ ٪ .

٣٥ ٪ من المسلمين يفضلون إرسال أبنائهم إلى مدارس إسلامية.

obeikandl.com

فيما يفضل ٦٠٪ إرسال أبنائهم إلى مدارس الدولة المختلطة.

٣٧ ٪ من الشريحة العمرية ١٦ - ٢٤ يفضلون إرسال أبنائهم إلى مدارس إسلامية، مقارنة بنسبة ١٩٪ بالنسبة للشريحة العمرية فوق ٥٥ عاماً.

٢٨ ٪ من المسلمين في بريطانيا يفضلون العيش تحت حكم الشريعة الإسلامية، بينما تفضل نسبة ٥٩٪ العيش تحت القانون البريطاني.

في الشريحة العمرية الأصغر، ١٦ - ٢٤ عاماً، ترتفع النسبة لتصل إلى ٣٧٪ يفضلون العيش تحت حكم الشريعة، بينما النسبة للذين تتجاوز أعمارهم ٥٥ عاماً تبلغ ١٧ ٪ .

٧٤ ٪ من الشريحة العمرية ١٦ - ٢٤ عاماً يفضلون أن تختار المسلمات ارتداء الحجاب، مقارنة بنسبة ٢٨٪ فقط من الشريحة العمرية التي تتجاوز الخامسة والخمسين.

٢١ ٪ من المسلمين تناولوا مشروبات كحولية.

٦٥ لا٪ يدفعون الفوائد على قروض الإسكان.

١٩ ٪ قامروا.

٩ ٪ اعترفوا بتعاطي مخدرات.

٧ ٪ معجبون بتنظيمات مثل القاعدة مستعدة لقتال الغرب".

ترتفع النسبة إلى ١٣٪ في الشريحة بين ١٦ - ٢٤ عاماً من الشباب المسلم الذين يعيشون في بريطانيا.

٤١ ٪ من مجمل المسلمين قالوا إن السياسة الخارجية قضية هامة للمسلمين ولكنهم لم يكونوا بالضرورة أكثر اطلاعاً على السياسة الخارجية أو أكثر انخراطاً فيها من المجتمع الأشمل.

٥٨ ٪ يعتقدون أن "الكثير من مشكلات العالم اليوم مرجعها التوجهات الغربية المتعجرفة.

obeikandl.com

٣٧ ٪ يعتقدون أن "أحد فوائد المجتمع الحديث هو حرية انتقاد الآراء الدينية والسياسية للآخرين، حتى إذا أخذ هذا على محمل الإساءة.

٢٨ ٪ من المسلمين يعتقدون أن السلطات في بريطانيا تبالغ في الحرص على ألا يفسر أي شيء على أنه إساءة للمسلمين أو مساس بما يخصهم.

٧٥ ٪ يعتقدون أنه كان من الخطأ أن أحد المجالس البلدية حظر الإعلان عن ترانيم أعياد الميلاد في المنطقة في عام ٢٠٠٣ خشية أن يحدث ذلك توتراً.

٦٤ ٪ يعتقدون أنه كان من الخطأ أن يحظر أحد المجالس البلدية كافة أشكال ورسومات الخنازير من مكاتبه.

نتائج ومعاني التقرير

من الملاحظ أن نتائج التقرير وإن كانت هنا تعتمد الدقة فلايمكن الأخذ بها على أنها مسلّمة نهائية. فقد تتضارب مع استطلاعات وتقارير ودراسات ميدانية أخرى.وهذا مالمسناه بعد مراجعتنا لتقارير واستطلاعات غربية كثيرة.

ينصح التقرير السابق بضرورة التوقف عن التأكيد على الاختلاف وإشراك المسلمين كمواطنين، وليس انطلاقاً من هويتهم الدينية الإسلامية.

إدرك التقرير بأن "الجالية" المسلمة ليست على نمط ونسق واحد ، وأن السعي لإعطاء حقوق أو تمثيل لجماعات بعينها لن يخدم إلا في فقد ثقة قطاعات من المجتمع بشكل أكثر.

ضرورة الكف عن معاملة المسلمين على أنهم مجموعة مهددة أو ضعيفة أو عرضة للخطر، وأن تضخيم فكرة الإسلاموفوبيا أو وجود "ظاهرة لمعاداة الإسلام" لا يجعل المسلمين يشعرون بالحماية بل بدلاً من ذلك يعزز أكثر الشعور بأنهم ضحية وبأنهم مغتربون عن بقية المجتمع.

obeikandl.com

تشجيع نقاش فكري أوسع أفقاً لتحدي الكراهية التبسيطية للغرب ولما هو بريطاني التي تهيمن على الحياة الثقافية والفكرية. ويعني هذا السماح بحرية التعبير والتناظر والبحث، حتى إذا اقتضى الأمر المساس بمشاعر بعض الأقليات.

أخذ الأمور بالمنظور السليم، فـ"هوس" السياسيين والإعلام بتسليط الضوء باستمرار على المسلمين، سواء باعتبارهم ضحايا أو إرهابيين محتملين، يعني أن المسلمين يتم النظر إليهم باعتبارهم غرباء، بدلاً من كونهم جزءاً من المجتمع.

فصل مدرّسة بريطانية منقبة

أقالت مدرسة ابتدائية بريطانية مساعدة مدرسية مسلمة كانت قد أوقفت عن العمل لارتدائها النقاب.

وكان قد طلب من عائشة عزمي، خلع نقابها بعد أن قالت المدرسة إن التلاميذ وجدوا من الصعوبة فهم دروسها.

وقالت عزمي إنها مستعدة لكشف وجهها أمام التلاميذ، ولكن ليس في حضور زملائها من الرجال.

من الواضح جداً أن ارتداءها النقاب في إطار الصف المدرسي يعيق قدرتها على مساعدة التلاميذ وتدريسهم.

وقال رئيس الوزراء توني بلير *إن النزاع حول النقاب جزء من جدل لازم حول طريقة اندماج المسلمين في المجتمع البريطاني وإن النقاب "علامة انفصال" تجعل الناس من خلفيات عرقية أخرى يشعرون بعدم الارتياح.*

وقال وزير شؤون مجلس العموم، جاك سترو، *إن ارتداء النقاب يجعل العلاقات بين الجماعات أكثر صعوبة.*

خاتمي: أنتم بريطانيون أولاً

حث الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي المسلمين البريطانيين على إطاعة قوانين البلاد وتقبل واجباتهم كمواطنين .

وقال خاتمي خلال زيارة لبريطانيا إن البلاد محقة في خوفها من التطرف، لكنه اعتبر أيضاً أنها زادت من المشكلة من خلال تورطها في العراق.

وقال إن مهمته هي إزالة الحواجز بين الغرب والشرق.

وفي هذا السياق أكد أن المسلمين البريطانيين يجب أن يعلموا أن لا واجب دينياً عليهم بارتداء النقاب، لكنه لديهم الحق في ذلك.

وقال مخاطباً مسلمي بريطانيا: *"أنتم بريطانيون أولا."*

الخلط بين الدين وظاهرة التطرف

يخلط الغرب على الدوام بين الفكر الإسلامي الذي هو إيمان وتدين واعتناق دين سماوي، وبين ظاهرة التطرف الجهادي الإسلاموي، وهذا الخلط قد ينتج عن سوء فهم للإسلام أو جهل به عند البعض. وقد يكون متعمداً أحياناً ويهدف إلى استبعاد الظاهرة الإسلامية كدين يغزو عقول الشباب الأوروبي. ولذلك تستخدم ذريعة الإرهاب المتطرف. وفي هذه الحال ينطلق الغرب من عدائيته الموروثة للإسلام والمسلمين. فقد أصدر وزير التعليم العالي في بريطانيا بيل رامل دليلاً عملياً بشأن مواجهة الترويج "للتطرف باسم الإسلام". ويعتقد مسؤولون بوجود تهديد خطير بالرغم من أنه غير منتشر، للتطرف العنيف في الجامعات. وكانت "مديرية التعليم والمواهب" قد قررت أن الدليل ضروري بعد أن أجرت محادثات مع جامعات وطلاب مسلمين وأجهزة أمنية.

ويقول رامل إن التهديد حقيقي وجدي إلا أنه لا يريد أن تقوم المؤسسات التعليمية بالتجسس على الطلاب. "الموضوع جدي وعلينا ان نواجهه ولكن الموضوع يتعلّق ايضاً ببناء لحمة إجتماعية في جامعاتنا. الأمر يتعلّق بالتحدّث إليهم والاستماع إليهم

obeikandi.com

وإلى مخاوفهم والعمل مع الأغلبية الواسعة من الطلاب المسلمين وغير المسلمين الذين يناهضون التطرّف".

أما خبير الاستخبارات والأمن البروفسور أنطوني غليز الذي نشر تقريراً العام الماضي حذّر فيه من مخاطر تطرّف الطلاب، فاعتبر أنه يجب تشديد التحريات على الطلاب الأجانب. "لا بدّ من مقابلة الطلاب لمعرفة صدقية التزامهم بالتحصيل العلمي".

وقيل إن زرع أفكار متشددة لدى الطلاب من قبَل جماعات إسلامية يشكّل مشكلة متفاقمة في بعض الجامعات. ومن المضحك أنّ إحدى جامعات لندن عيّنت شيخاً إسلامياً معتدلاً لإبعاد عدد من الطلاب عن التطرّف. إلا أن تكتل "جمعيات الطلاب المسلمين" يصرّ على أن التشدّد ليس منتشراً.

ويقول رئيس شؤون الطلاب فيصل هانجارا إنه يعتقد أن هذه الخطوة لن تكون مفيدة بشكل عام لأنها تهدف لتضخيم التهديد وإعطائه حجماً أكبر مما هو عليه. وأعرب عن قلقه من أن تبدأ الإدارات في الجامعات والمدارس بالبحث عن أمور ليست موجودة في الأصل.

واتهم ممثلون عن "اتحاد الجامعات والمدارس الثانوية" الحكومة بأنها تريد من الإدارات التعليمية أن تقوم بملاحقة واضهاد الطلاب المسلمين.

تصريحات طائفية في هولندا

قال هيرت فيلدرز، وهو سياسي ليبرالي سابق يقود حزباً يمينياً، إن المسلمين *"يجب أن يتخلصوا من نصف القرآن إذا أرادوا البقاء في هولندا، وأنه يحوي أشياء فظيعة، وأنه كان سيطارد رسول الإسلام إلى خارج البلاد لو كان حياً الآن"*

وأضاف إن حزبه السياسي يسعى لإغلاق حدود البلاد أمام المهاجرين المسلمين، وأنه لاينبغي أن يتم افتتاح أية مساجد أو مدارس إسلامية في هولندا.

واعتذر متحدث باسم الوزارة وقال إن وزير الخارجية بوت أعرب عن أسفه بشأن آراء فيلدرز، وقال إن حكومة بلاده لا تشارك فيلدرز في توجهاته.

وفي هولندا أيضاً أعلن أحد زعماء الحزب المتطرف المعارض وهو برلماني عن دعوة حزبه لمنع تداول القرآن الكريم في هولاندا كلها. وتأتي هذه التصريحات ضمن سلسلة محاولات غربية لوقف المد الإسلامي في الغرب كله.

تربية الغربي هي السبب في نقده للقرآن

إن تربية المواطن الغربي وإخافته من الإسلام ومن اعتناقه أو التعاطف معه هذه الأسباب جعلت المبدأ المنتشر في الغرب هو معاداة الإسلام والقرآن. وإن الكثير من المسلمين الذين تعاملوا وتحاوروا مع الغربيين يقولون إن المواطن الغربي يصل معه إلى نتيجة يقول فيها: كلامكم يعجبني. وتعريف الإسلام يعجبني والحوار والتسامح والفكر الذي تعرضونه يعجبني بل ماأعظمه لكن.!!. أخشى أن أكون مخدوعاً. وأن يفتك المسلمون بنا. هذه الحالة هي حقيقة في الغرب وتعكس العقدة الغربية القديمة التي مازالت قائمة وهي عقدة الغرب من عودة المسلمين وكذلك عقدة الغربي من الإبادة التي سيتعرّض لها إذا ماهو تحالف مع المسلمين. يقول المفكر الفرنسي هنري دو كاسترو: آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها، وفاضت "عين نجاشيّ الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى وصاح القس أن هذا الكلام وكلام عيسى جاءا من مورد واحد. لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا. غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سببًا في معارضة تأثيره في عقول العرب.). ثمّ كيف يعقل أن النبي ألّف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها كانت في تلك الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية، وما كان يعقلها إلا القوم العالمون.. ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب."

الدين والعلمانية الفرنسية

فرنسا ليست البلد الغربي الوحيد الذي يصر على الفصل بين الكنيسة والدولة - غير أنها تدافع عن هذا الفصل بضراوة تفوق غيرها من الدول.

فالعلمانية في فرنسا هي أقرب مفهوم بديل لدى أذهان الفرنسيين عن "دين الدولة" وقد كانت وظلت من المبادئ الرئيسية للفكر التقدمي للبلاد منذ القرن الثامن عشر وحتى هذا اليوم، فإن أي شيء يشتم منه رائحة اعتراف رسمي من جانب الدولة، بدين ما - مثل السماح بالحجاب في مدارسها - يعد أمراً لا يقبله الكثير من الفرنسيين.

وحتى من يعارضون فرض حظر على الحجاب يعارضون ذلك تحت اسم صورة أكثر حداثة ومرونة من العلمانية الفرنسية.

ويمكن النظر إلى الإرث العلماني في فرنسا على أنه أثر جانبي للكاثوليكية الفرنسية، حيث طالما نظر التقدميون الفرنسيون إلى المنبر الديني على أنه عدو، وليس منبراً بين منابر التعبير، خلافاً للوضع في بعض البلدان البروتستانتية .

ومفكرو التنوير الفرنسيون مثل فولتير وديدرو ومونتيسكيو نظروا إلى الدين على أنه عامل تفريق وإظلام وتعصب.

ثمّ جاءت الثورة الفرنسية لتجلب صداماً مباشراً بين الكنيسة والدولة، فقد صادرت الثورة أوقاف الكنيسة وجعلت رجال الدين يقسمون بالولاء للجمهورية الفرنسية .

وخلال الثورة وخلال فترة الإمبراطورية الفرنسية التي تلتها قاوم الفاتيكان النمط الجمهوري الذي كانت باريس تسعى لفرضه في أنحاء أوروبا.

وكان أن زحف الجيش الفرنسي على روما مرتين، مرة في ١٧٩٨ ومرة في ١٨٠٩، حيث اعتقل من رفض الانصياع من البابوات.

وتوصل نابليون بونابرت إلى درجة من التوافق مع الكنيسة، والتي أصبحت خاضعة لسلطة الدولة - وإن تُركت وشأنها طالما اقتصرت على الأمور الروحية.

obeikandl.com

واستمر هذا النوع من الاتفاق، والذي عرف باسم الكونكوردا، لقرن من الزمان، وفي عام ١٩٠٥ ومع تجدد حركة التحفز ضد رجال الدين، أعلنت الجمهورية الثالثة مرسوماً يقضى بالفصل بين الكنيسة والدولة.

ويعني قانون الفصل الحياد الصارم للدولة فيما يتعلق بالشؤون الدينية، فالدولة الفرنسية لا تسمح بالدعوة لأي دين في الأبنية العامة، وبالتأكيد في مدارسها حيث يجري تدريس مواطني الغد.

وتضرب فكرة الإصرار على خلو المدارس من أي صبغة دينية بجذورها في لب مفهوم المواطنة الفرنسية.

وطالما اعترفت الجمهورية بالأفراد، وليس بجماعات؛ حيث يدين المواطن الفرنسي بولائه للأمة، وليس لديه هوية عرقية أو دينية رسمية أمام الدولة.

ورغم أن هذا الأمر اشتط أحياناً، مثلما كان رعايا المستعمرات في يوم ما يلقنون أن أسلافهم كانوا من الغال - وهم الشعب الأصلي للفرنسيين - إلا أن هذا المنظور للمواطنة جامع مانع وغير تمييزي.

وفي هذا الإطار يتم النظر إلى الحظر على الرموز الدينية في المدارس، إذ يأتي اتفاقاً مع جذور أقدم للعلمانية الفرنسية.

وفي عام ١٩٣٧ أمر وزير التعليم آنئذ مديري المدارس بالإبقاء على كافة الرموز الدينية خارج مؤسسات التعليم.

وفي ذلك اليوم لم يثر هذا الأمر جدلاً، بل واجه معارضة واهنة وسط خضم مجتمع علماني دعم أمر الدولة بهذا الصدد.

وفي الستينات والسبعينات بدأت حركة هجرات ضخمة من مستعمرات فرنسا في شمال أفريقيا مما دفع بتحد جديد.

غير أن هذا لم يؤد إلى التشكيك في العلمانية الفرنسية، فالمهاجرون الأوائل لم يكن لديهم الرغبة في أن يجدوا في فرنسا التي قصدوها رجال الدين الذين خلفوهم وراءهم.

والكثيرون من هؤلاء المهاجرين القدامي يصدمون الآن حينما يجدون أولادهم يتبنون ممارسات إسلامية متحفظة، وهؤلاء تصدروا الدعوات المنادية بحظر الحجاب في المدارس.

غير أن الجيل الثاني والثالث الأصغر من المهاجرين يرون الأمور بشكل مختلف، فقد عاشوا في فرنسا ولم يعهدوا غيرها، وعاشوا في مناطق محرومة داخلها، وبالنسبة للكثيرين فإن التشدد والحجاب يعتبران وسيلة للتعبير عن الغضب ولتأكيد هوية مختلفة .

ولا يعرف على وجه التحديد عدد الفرنسيين المسلمين، ويرجح أن الرقم الذي يتم تداوله كثيراً وهو خمسة ملايين مسلم مبالغ فيه. غير أن الانتخابات الأخيرة لمجالس تمثيلية تشير إلى أن المسلمين المتشددين المعادين للعلمانية يتحدثون بصوت أعلى من زعمائهم الأكبر سناً والأكثر اعتدالاً.

وأمام هذا التحدي غير المسبوق بالنسبة لفرنسا، وجدت المؤسسة الفرنسية نفسها منقسمة، فالتقليديون داخلها شددوا على ضرورة تمسك الجمهورية بالمبادئ العلمانية الآن تماماً كما كان في الماضي بوجه الملوك الذي حكموا بزعم الحق الإلهي في القرون السالفة.

ويقولون إن الحجاب على الأخص لا يمكن القبول به في المدارس لأنه يمثل وسيلة دعاية لصورة غير متسامحة من الإسلام ورمزاً لقمع النساء.

غير أن أنصار الحداثة على الجانب الآخر قالوا إن فرض الحظر لن يكون من شأنه إلا تقوية المتشددين، وأشاروا إلى أن مبادئ العلمانية ليست منقوشة على حجر ويمكن أن تقبل باستثناءات.

فعلى سبيل المثال أبقى إقليما الألزاس واللورين - اللذان كانا ضمن ألمانيا حينما تم فصل الكنيسة عن الدولة في عام ١٩٠٥ - بنظام الكونكوردا الذي يسمح لرجال الدين بتلقي رواتب من الحكومة.

وقد ساد الكثير من التخبط فيما يتعلق بأمر الحجاب في المدارس، بين شد وجذب.

ففي عام ١٩٨٩ ألقت المحكمة الفرنسية العليا بثقلها وراء أنصار الحداثة، حيث حكمت بأن فرض حظر في المدارس على الإشارات الدينية "غير قانوني"، وهو الحكم الذي يظل سارياً حتى صدور مرسوم قانوني بخلاف ذلك.

غير أن المحكمة نفسها أقرّت بإمكان طرد طالب أو طالبة لارتداء علامة دينية تصل إلى حد الدعوة إلى دين معين أو التبشير به.

وفي عام ١٩٩٤ قال وزير التعليم إن الرموز "البارزة التي تحمل علامة التفاخر" يمكن حظرها، وترك الأمر لتفسير مديري المدارس.

وأعرب الرئيس الفرنسي جاك شيراك عن دعمه لقرار بحظر الحجاب والقلنسوة اليهودية والصلبان الكبيرة في المدارس.

حوار أم اقتتال ؟

المجتمعات الغربية التي تمثّل المواطن الغربي كلها قابلة للحوار وترحب به وتسعى له. ويتعين على المسلمين بكافة كياناتهم العمل بكافة الطرق لتمكين الحوار مع الغرب بصفته مجموعة مواطنين.

الأنظمة المزيفة الحاكمة في الغرب والتي تخدع مواطنيها تعيق الحوار مع المسلمين وتفرض مصالحها الخبيثة كنتائج للحوار. هذا مايحدث اليوم، لكن حركة الإسلام داخل أوروبا ستفرض على أنظمة الغرب أن تحاور المسلمين بعقل سليم.

ويأتي نفوذ المسلمين وتطورهم كعامل قوة في الحوار مع الغرب. فإيران الثورية الإسلامية تفرض بقوتها وحكمة سياستها ومنطق قراراتها تفرض على حكّام الغرب قبول القرار الإسلامي. وكذلك تركيا رئاسة وحكومة وشعباً اختارت الإسلام العلماني الواعي والمحاور القوي. والتي تتسم بالديمقراطية تركيا الجديدة تعتبر عاملاً رئيسياً ومهماً في فرض المحاورة السليمة والعادلة المنطقية مع الغرب وبنفس الوقت فهي عامل أساسي في مشروع أسلمة أوروبا.

obeikandl.com

يتعين على المسلمين أن يحدثوا شرخاً بين الغرب والصهيونية من جهة وبين الغرب والمسيحية من جهة أخرى. وهذا الشرخ موجود في حدّ ذاته على الصعيد الاجتماعي وهو يزداد باستمرار، لكنّ الذراع الصهيونية تستمرّ في فرض سيطرتها على الكيان الغربي وتحاول باستمرار ايجاد مبررات ومسوغات جديدة تحمل أساليب وطرقاً اقناعية تتجدد باستمرار وفق تجدد الحدث وتطوره. وليبحث المسلمون أيضاً عن فضاءات جديدة ويؤكدوا وجودهم فيها كدول الصين واليابان وروسيا وأفريقيا.

التجمّع المكاني الطائفي للمسلمين الفرنسيين

انتبهت السلطات الفرنسية إلى خطر التجمّع المكاني للمسلمين الفرنسيين، وانتهجت سياسة جديدة ومشاريع تهدف لدمجهم الاجتماعي مع غير المسلمين. لكنّ كافة هذه المحاولات لم تنجح حتى الآن، بل وتواجه برفض شديد من عامة المسلمين الفرنسيين وغير الفرنسيين. وهؤلاء يعتبرون الدمج منافياً للأخلاق والقيم الإسلامية. وقد فجرت احتجاجات أبناء الضواحي الفرنسية في مطلع ٢٠٠٧ أزمة تهدد النموذج المثالي الذي سعت فرنسا لتحقيقه والذي يهدف إلى تجميع مهاجرين من اصول وأعراق مختلفة من زنوج ومهاجرين من شمال أفريقيا ومزجهم في المجتمع الفرنسي، والمؤسسات المسئولة عن عملية الدمج عديدة وتأتي المدرسة في المقام الأول.

في ظل الحفاظ على النموذج التجميعي لجميع الأعراق في فرنسا اهتمت الحكومة الفرنسية فيما مضى بانحصار هؤلاء المهاجرين في أحياء خاصة بهم. مما أدى إلى تكوين أحياء يمثل ٩٠٪ منها مواطنون من أصول مغربية وجزائرية وهذا بالطبع أدى بدوره إلى جعلهم جماعة مهمشة وغير معترف بها، وفي السنوات الأخيرة أعلنت مشاريع دمج اجتماعي لهؤلاء المسلمين.

ولعله من الضروري أن يندمج مسلمو الغرب في المجتمعات الغربية وأن لايجتمعوا في أحياء خاصة بهم. فذلك التجمع المكاني يعيق تحاورهم مع الغرب المسيحي الذي يعيشون ضمنه ويلغي تماماً ميزة أنهم غربيين.

obeikandi.com

انكماش الفئات الإسلامية في الغرب

من الملاحظ أن الفئات الإسلامية في الغرب على اختلاف أنواعها تنكمش على نفسها وتعيش غربة عن المجتمع الغربي الذي هي جزء منه وغربة عن الحضارة التي هي تنتمي اليها. وتتعدد مظاهر هذا الانكماش، اذ نجد انكماشاً إسلامياً عاماً تجاه الغرب كله ، وانكماشاً سنياً جزئياً داخل الكيان الإسلامي المنكمش على بعضه أصلاً. وكذلك انكماشاً شيعياً وآخر اسماعيلياً وآخر إسلامياً كردياً، وبهذه الانكماشات والتقوقعات تعود إلى ذاكرتنا صراعات الممالك الإسلامية القديمة في أوروبا من ناحية، والانكماشات المذهبية والعرقية القائمة في البلدان العربية والإسلامية من ناحية أخرى.

يشعر المسلمون في الغرب بالقلق والخوف من المجتمع الغربي الذي هو كيانهم. أي أنهم مازالوا يفصلون أنفسهم عنه رغم مرور السنين. ورغم ذلك فهم يشعرون بأن وجودهم مؤقت في تلك البلاد. ولامبرر لهذا الخوف ولالهذا القلق،لأنهم مواطنون كلّ المواطنة. إنهم لايستطيعون الاندماج في تلك المجتمعات رغم أنهم هم الذين اختاروا الانضمام إليها.انهم لايقدرون على التعايش والتفاعل مع تلك المجتمعات رغم مرور السنين.

ويلاحظ أيضاً أن العرب المقيمين في الغرب يحافظون على انتمائهم الأصلي بكل معانيه. فالسوري الفرنسي يعتقد بأن رئيسه هو السيد بشار الأسد وليس جاك شيراك، والأشخاص الذين تزوجوا من أوروبيات يلجؤون في آخر المطاف إلى تطليقهم والتزوج من عربيات.

أزمة المسلمين في التعبير عن الهوية

بعد إقامة عمرها ربع قرن ومتابعة للتحصيل العلمي العالي رزق عربي بمولود جديد، فأطلق عليه اسم درويش. وعندما سألته عن السبب في اختيار هذا الاسم قال: " *أرسلت لأبي أخبره بالمولود الجديد فأمرني بتسميته درويش على اسم أبو جده* " .

ومن هذا المثال نلاحظ الارتباط المتين بين الفرنسيين العرب وموطنهم الأصلي بل وعاداتهم وثقافاتهم التقليدية. وكثيرة جداً الأمثلة المشابهة التي تدلّنا على تعلّق المغترب العربي بثقافته الاجتماعية وعلى إصراره على نقل هذه الثقافة بعيوبها إلى موطنه الجديد. واللافت أيضاً أنّ اسم درويش من حيث المعنى واللفظ والتقبل الإجتماعي العربي له يعتبر موجة قديمة باطلة، ومن النادر أن يسمى المواليد به في سورية. فكيف يصبح مقبولاً عند فرنسي من أصل عربي تثقف ربع قرن في أوروبا؟ أليسوا هناك يعيشون أزمة التعبير عن الهوية فيذهبون للتمسك بما يعتقدون بأنه الجذور العربية ؟. ألا يبالغون في التعبير عن تمسكهم بالجذور العربية؟. فيصبحون أكثر قدماً منا ؟.

نقلوا إلى الغرب المجتمع والعادات والموروث

رغم أن المجتمع العربي بخصوصياته ومشكلاته وفتنه الطائفية لايمثل الإسلام فإن العرب الأوروبيين يقومون باستيراد قوالب جاهزة من هذه المجتمعات العربية ويقيمونها كأسس لحيواتهم اليومية وكمناهج لمواقفهم العامة المتعددة. إذ تم نقل التكتلات المذهبية والطائفية والعرقية، فنجد هناك تكتلاً كردياً وآخر سنّياً وآخر إخوانياً وآخر شيعياً وتكتلاً للأثرياء وآخر للفقراء وتكتلاً لرجال السفارات الذين يمثّلون السلطات في بلدانهم. ويتم نقل عظائم الأمور وصغائرها، فصورة المسلم الذاهب إلى المسجد والذي يحرص على شكليات تافهة كالثوب الأبيض وحمل السبّحة والتسوك بالمسواك، هذه الصورة التي نراها في دمشق والقاهرة تم نقلها إلى باريس ولندن رغم تفاهتها. وبفضل هذا النقل الدائم والمستمر أصبحت التجمعات الإسلامية في أوروبا نسخاً مصغّرة عن المجتمعات العربية، وهذا مايعيق اندماجها في المجتمعات الغربية. ويعيق فهم المسلمين للغرب نفسه وبنفس الوقت يعيق فهم الغرب للإسلام وللمسلمين الأوروبيين. ويصبح التمازج الاجتماعي حلماً بعيد المنال.كما وأصبحت مشكلات المسلم اليومية هي نفسها مشكلات المسلم العربي، إذ لم يسع المسلم الغربي ولم يتمكن من ابتداع أفق إسلامي أوروبي جديد، ذلك الأفق الذي

كان يتوجب عليه أن يوجده منذ عقود.ولم يستطع أيضاً أن يتخلص من عيوب المجتمعات العربية. ولمّا كان الغرب يجري دراسات وأبحاثاً للتعرف على الإسلام ومن خلالها يريد التوصل لطريقة فهم المسلمين الأوروبيين، وبسبب عملية النقل الدائم من البلدان العربية إلى الغرب توجب على إدارات تلك الدول أن تجري دراسات لانهاية لها عن مشكلات المجتمع العربي.

الفضاء الإسلامي في أوروبا

انّ عجز مسلمي أوروبا عن التمازج مع مجتمعاتهم الغربية وتخلفهم عنها جعلهم يجتهدون في تشكيل فضاء إسلامي خاص بهم. ومن بين أشكال ذلك الفضاء سعيهم لتأسيس مدارس خاصة بالجالية الإسلامية، بحيث تقوم بتدريس العربية والدين الإسلامي وتحافظ على الانتماء العروبي وللإسلامي للأبناء. ولعلّ من أهم ميزاتها أنها تسمح بارتداء الحجاب الإسلامي للفتيات المسلمات. ورغم أن تلك المدارس تحقق هذه الإيجابيات الثلاث للمسلمين لكنها في الوقت نفسه ستعزلهم عن محاورة الأفراد الغربيين والتعايش معهم وتبادل التأثير فيما بينهم. وستكون عقبة في تطور أولئك التلاميذ وفي مجاراتهم للمجتمع الغربي ولخصائصه. ونعتقد أن ظاهرة المدارس العربية هذه تخالف المنطق الحضاري نفسه والذي لأجله اختار أولئك المسلمين الإقامة في دول الغرب. فهنا في دمشق نجد صورة عكسية لتلك، إذ يرسل أبناء الأحياء البعيدة عن المدينة أولادهم إلى مدارس في المدينة ليتمازجوا مع أفراد متحضرين ومعلمين مميزين، ومن أشهر المدارس الدمشقية العريقة تلك التي قام الفرنسيون بتأسيسها أيام الانتداب الفرنسي لسورية. ففي هذه المدارس يختلط التلاميذ مع مواطنيهم المسيحيين ومعلميهم الذين من بينهم رهبان وراهبات. ولايجد المسلمون المتدينون حرجاً في ذلك أبداً. وأعتقد جازماً بأننا لو قمنا بنقل عائلة إسلامية تحرص في فرنسا على تسجيل أبنائها في مدارس عربية، لو قمنا بنقلها إلى دمشق لسعت بكل قوة لتسجيل أبنائها في المدارس الفرنسية الأصل في دمشق. وهنا صورة التناقض في تلك الشخصيات الإسلامية الفرنسية.!!.إنهم هناك يبنون وجودهم

على أساس التميز الإسلامي. ويتمثّل هذا التميز في التصدي للثقافات العقلانية والعلمانية الجديدة سواء أكانت صادرة عن الغرب نفسه أو عن المسلمين المتنورين.

ألمانيا ساحة إسلامية حقيقية

ألمانيا اليوم هي ساحة إسلامية حقيقية وفضاء إسلامي حقيقي، لقد جاء اليوم الذي نستطيع فيه أن نقول إن دولة غربية أصبحت فضاءّ إسلامياً.

فقد هاجر العرب والمسلمون بكثافة كبيرة إلى الألمانيتين بدءاً من النصف الثاني من القرن الماضي. وكانت الألمانيتين ترحبّان بهجرتهم ويعود ذلك إلى أسباب سياسية وتاريخية كثيرة ترتبط بتاريخ ألمانيا الهتلرية المعادي للغرب. فقد تحالفت ألمانيا الشرقية مع الدول المعادية للصهيونية ولكيانها، وقامت بتصدير بعض الأسلحة إليها، واستقطبت المهاجرين الفلسطينيين والأكراد والسوريين وغيرهم. وفي زمن عبد الناصر المصري أمدّت ألمانيا الغربية الجيش المصري بالأسلحة والخبرات لمواجهة الصهاينة. ونتج عن ذلك كله كثرة المسلمين الألمان الذين يتواجدون وأبناءهم أو أحفادهم الألمان اليوم. ولهذا يكثر الجدل حول أسلمة ألمانيا في الدولة كلها. فتشاهده في الشوارع وفي المقاهي وتستطلعه بكثافة على صفحات الأنترنيت. فهناك جناحان قويان بنسبة متساوية تقريباً. وهما المسلمون المتواجدون بقوة والذين يجرؤون على فرض قيمهم وعقائدهم والذين يقولون كلمتهم فتصل إلى السلطات وتأخذ بها أحياناً مضطرة أو متعاطفة. وهناك المسيحيون المتطرفون الذين يعملون بقوة على وقف التمدد الإسلامي في ألمانيا. وأمام ذلك المشهد يقف مسلمو العالم متفرجين وينتظرون ماستؤول إليه تلك المعركة الثقافية الهادئة.

ولأنّ ألمانيا تختلف عن الغرب كصفة عامة لها، فالألمان يبدون اليوم أكثر إقبالاً على اعتناق الإسلام من أبناء الدول الغربية الأخرى.

المسلمون الألمان

ينتشر الإسلام في ألمانيا أكبر منه في معظم دول أوروبا. وفي أيلول ٢٠٠٧ أعلن عن القبض على متطرفين إسلاميين هم من أصل ألماني مسيحي. وهذا ماأشغل ألمانيا كلها. فلم يعد التطرف الإسلامي يأتي من الخارج، بل أصبح نتاجاً أوروبياً. وما يعنينا من ذلك الحدث هو أسلمة الغربي .

تضطلع هيئة حماية الدستور برصد أنشطة المتطرفين، بما فيهم الجماعات الإسلامية. وتشرح كلاوديا شميد، التي تدير فرع الهيئة في برلين، سبب اعتبار الإسلاميين الذين لا ينتهجون العنف مبعث تهديد. وتقول "بإمكان هذه الجماعات أن تزاول أنشطتها وتروّج لأفكارها، ولكن لا ينبغي عليها أن تتوقع أن تتلقى أموالا من الدولة إذا كانت تسعى لتدمير اللبنات الأساسية والأصلية لدستورنا. وتراقب هيئة حماية الدستور الألماني - التابعة لوزارة الداخلية الألمانية - عن كثب الجماعات الإسلامية مثل الإخوان المسلمين ونظيرتها التركية المعروفة باسم ملي غوروش. والانتماء إلى تلك الجماعات أو الاتصال بها قد يعرّض الشخص لعدم الحصول على الجنسية الألمانية وعدم الحصول على الدعم الحكومي. فالمواطنة المسلمة التي تعمل في أوقات فراغها كمتطوعة مع مجموعة شبابية إسلامية. ولأن تلك المجموعة تعمل مع جماعات عربية وتركية للإسلاميين، فقد تم حرمانها من التمويل الحكومي.

توتّر العلاقة بين الكنيسة البروتستانتية والجالية المسلمة في ألمانيا

لا توجد جالية دينية في ألمانيا تتصل بكل صراحة ووضوح من العنف الناتج عن بواعث دينية مثل الجالية الإسلامية. وبالرغم من ذلك لا يزال رئيس الكنيسة في ألمانيا الأسقف فولفغانغ هوبر يطالب المسلمين بالتنصل من العنف، وكان آخر ذلك في ختام مؤتمر الكنائس البروتستانتية في تشرين الثاني٢٠٠٧.

وفي المؤتمر الصحفي الختامي قال رئيس الكنيسة إن التسامح لا يؤتي ثماره لأن الفروق الحقيقية لن تظهر في الحوار كما هو الحال في قصة الخواتم الثلاثة

المتطابقة في الشكل في قصة "ناتان الحكيم" للكاتب ليسنغ. وشدد الأسقف هوبر بالطلب على أن تظهر الكنيسة "بصورة خاصة" تميزها بوضوح عن الديانات الأخرى، وهو يقصد بذلك الإسلام.

ويتسائل الأسقف هوبر: هل يفتقر الحوار الإسلامي المسيحي إلى الموضوعات أم أنه في مأزق لا مخرج منه؟

في الحقيقة هناك توتر في الحوار الإسلامي البروتستانتي، وصارت القوى المعتدلة من الجانبين دون أهمية في الوقت الحاضر.

وهذا الوضع لا يساعد على خلق ثقة متبادلة. وهذه الثقة ضرورية لمناقشة المسائل الحرجة بالفعل. أضف إلى ذلك أن المسلمين غالباً ما يُظهرون فقط الجانب الحسن للديانة الإسلامية أثناء حوارهم مع المسيحيين.

قال رئيس الفيدرالية البروتستانتية في فرنسا جون أرنولد دى كليرمون أثناء إحدى المؤتمرات الإسلامية المسيحية في باريس إنه إذا ما أردنا مستقبلاً إسلامياً مسيحياً فلا بد من مواصلة الحوار الأوروبي بين المسلمين والمسيحيين. وأثناء هذا المؤتمر الألماني الفرنسي أيد نائب رئيس الكنيسة البروتستانتية في منطقة راين لاند، القس كريستيان، هذا الرأي دون أية تحفظات.

ولكن إلى أي اتجاه ينبغي أن تسير الجهود من أجل الحوار في المستقبل؟ هل نبقى على نفس المنهاج؟ إنه حقاً لن يكون من الحكمة بمكان.

جماعة "ميللي غوروش" الإسلامية في ألمانيا

ينتمي إلى الجمعية أكثر من ستة وعشرين ألف عضو أغلبهم من أصول تركية، وبذلك تُعتبر ثاني أكبر منظمة إسلامية في ألمانيا. ولها تأثير لا يُستهان به على عدة مساجد من خلال أعمالها الشبابية. وقد أسسها نجم الدين أربكان السياسي التركي المعروف بحكمته. وتم تصنيف "ميللي غوروش" من قبل سلطات

الأمن الألمانية على أنها جمعية متشددة، بيد أنها تعتبر نفسها ذات اتجاه وسطي تمارس الحوار.

تحدثت دائرة حماية الدستور الألماني عن الجمعية ووجّهت إليها اتهامات عديدة فقد ورد في التقرير الأخير لها:

إنّ مجموعات مثل "جمعية ميللي غوروش الإسلامية" تطالب بـ "إقامة وتوسيع الأوساط الإسلامية في ألمانيا"،

بالنسبة لحركة "ميللي غوروش" فإن الإسلام يفهم كنظام سياسي واجتماعي شامل يلغي التصورات الأخرى، صحيح أن الجمعية تؤيد علناً اندماج المسلمين في ألمانيا، ولكنها تُعثر جهود الدولة في هذا المجال من خلال دمغه على أنه ذوباناً وليس اندماجاً.

وتنفي الجمعية عن نفسها تصنيف السلطات الألمانية لها على أنها منظمة "إسلاموية". ويتساءل الأمين العام للجمعية، أوغوز أوجونجو: "ما الذي نقوم به من نشاطات مختلفة وينتمي إلى بنيتنا التحتية ويتعارض مع النظام الدستوري الألماني؟" فالتصاريح الرسمية للجمعية ليست سياسية متطرفة. وتعترف الجمعية علناً وليس فقط بشكل صريح بالنظام الأساسي الديمقراطي الحر في ألمانيا، وتمدحه كمثل أعلى للدول الإسلامية. وتعمل "ميللي غوروش" جاهدة لتفعيل الحوار مع الجمعيات المسيحية واليهودية. وتندد بشكل دوري بالهجمات الإرهابية التي تقوم بها جماعات إسلامية متطرفة. كما أنها تحث أعضاءها إلى تعلم اللغة الألمانية والاندماج في المجتمع والحصول على الجنسية الألمانية. وهي بلا شك أكثر انفتاحاً على الغرب من الجمعيات الإسلامية التي تشمل أصولاً عربية.

وقد اتهمت الجمعية بمعاداة السامية بسبب مقال ورد في صحيفتها الدورية ميللي غازيته، وكانت الصحيفة قد رأت في عام ٢٠٠٣ أن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول تشكل جزءاً من مؤامرة صهيونية عالمية. وفي عام ٢٠٠٥ وصف رئيس منظمة الشبيبة التابعة للجمعية ديمقراطية الغرب "بالحضارة المزيفة ."

وثمة اتهام آخر موجه لجمعية "ميللي غوروش"، هو أن الجمعية لا تضع مسافة كافية بينها وبين "الأب الروحي"، ورئيس الحكومة التركية السابق، نجم الدين إربكان. وتطالب الحكومة الألمانية أن تنفصل الجمعية عن أربكان انفصالاً تاماً.

وبالإجمال فانّ جمعية ميللي غورش تعمل بوعي وبحكمة. وهي تتطور باستمرار داخل ألمانيا وتقوم برعاية مصالح المسلمين فيها. ورغم ذلك فقد قاطعت الجماعة مؤتمراً للحوار بين الأديان انعقد في ألمانيا بتاريخ ١٣ تموز ٢٠٠٧ وفي كلمتها للمؤتمر انتقدت رئيسة وزراء ألمانيا جماعة ميلي غورش واعتبرتها متطرفة، وبدأت مواجهة جديدة بين الجمعية والحكومة الألمانية.

مسلمو البوب في ألمانيا

فئة من المسلمين الألمان أطلقت على نفسها اسم (مسلمي البوب) وتقول فتاة من هؤلاء: "أنا مسلمة وهذا قمة العصرية"، هذه هي فحوى الرسالة التي يقولها مسلمو البوب في ألمانيا. يبدو وكأنّ اعتدادًا إسلاميًا جديدًا بالنفس في طور النشوء. يريد النشء المسلم تغيير صورة الإسلام في ألمانيا نحو الأفضل بعد أنْ أصابها عطب شديد بسبب الإرهاب. لذا ينشط هؤلاء لصالح المجتمع، فيقدمون دروسًا إضافيةً لمساعدة التلاميذ في حل واجباتهم المدرسية على سبيل المثال، أو يوزعون شطائر الطعام على مدمني المخدرات وعلى المشردين. إلا أنهم ليسوا ليبراليين على الرغم من إطلالتهم الواثقة غالبًا، فمسلمو البوب يضعون الإسلام فوق كل شيء، بما في ذلك الحكومة والدستور، ولا يريدون لأولادهم أنْ يشاركوا في دروس السباحة، ويعتبرون أنّ للرحلات المدرسية مردودًا سلبيًا على تلاميذ المدارس. يبدو أن هناك ثقافة نشء إسلامية جديدة في طريقها للتطور، حيث لا تناقض فيها بين أنْ يكون المرء مؤمنًا متدينًا ومواطنًا صالحًا في آن. مسلمو البوب ينشطون لصالح المجتمع ويريدون المشاركة في صياغته، لكن من وجهةٍ إسلاميةٍ، ويلخّص موقفهم بعبارة نعم للاندماج ولا للانصهار. إنّ مسلمي البوب يضعون الله فوق الحكومة والقانون وإنّ لحركة البوب الإسلامية فهماً إسلامياً أقرب للمحافظة.

obeikandl.com

اختبارات خاصة بالمسلمين

يتم اختبار المسلمين في أغلب دول الغرب قبل منحهم الجنسية الغربية. ويرتبط هذا الاختبار عادة بمستوى خضوع المواطن لعقلية الغرب ولمستوى ابتعاده عن التطرف الإسلامي بل والإلتزام بأخلاق الإسلام عموماً، ومن هنا فهذا الاختبار عنصري وظالم وترفضه جماعات حقوق الإنسان ومنظمات مكافحة العنصرية. ففي ألمانيا تم استحداث اختبار في ولاية بادن- فورتنبورغ بات يطلق عليه "اختبار المسلمين وإن أحد الأسئلة الحساسة تتعلق بحقوق المثليين.

يقول أحد الأسئلة "اكتشفت أن ابنك مثلي، ويأتي إليك ذات يوم ويقول: يا بابا، أود الزواج برجل ألماني مثلي. كيف سيكون رد فعلك؟

ويقول الصحفي أريكان "هل تتوقعون مني أن أضرب ابني، أو أقوم بما يطلق عليه "جريمة شرف"؟ هذا أمر سخيف حقاً.

ومن الأسئلة الأخرى التي يشملها الاختبار كيف تنظر إلى الرأي القائل إن على المرأة طاعة زوجها، ويمكنه ضربها إذا لم تفعل ذلك؟

- لو علمت أن أشخاصاً في الحي الذي تقطن فيه أو من أصدقائك أو معارفك نفذوا أو يخططون لتنفيذ عملية إرهابية، ماذا تفعل؟

- بعض الناس يحمّلون اليهود مسؤولية كل شرور العالم، ويدّعون حتى أنهم كانوا وراء أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر عام ٢٠٠١ في نيويورك. ما هي نظرتك إلى هذا الرأي؟

وفي أوستراليا تم استحداث اختبار جديد للحصول على الجنسية، ويتضمن الاختبار أسئلة صعبة كالسؤال عن تاريخ أوستراليا، وعن أول من اكتشف القارة الجديدة وعن القوانين المحلية هذا إضافة إلى الأسئلة المتعلقة بالتطرف وبالانفتاح على المجتمع الأوسترالي.

لماذا تفشل مشاريع الإندماج في الغرب؟

تفشل مشاريع اندماج المسلمين في الغرب وبنفس الوقت مشاريع اندماج المتطرفين في مجتمعهم الإسلامي الصغير في الغرب، ومشاريع اندماج هؤلاء المتطرفين في المجتمع العام الغربي كله.

يحمل أي المسلم مقيم في دولة غربية مشروعاً ثابتاً في ذهنه، فهو في أحسن الحالات يتقبل الحوار لكن لايتقبل الانصياع لمباديء جديدة ولايتقبل الانحلال في المجتمع الغربي. ومن عناصر المشروع الثابت في ذهن المسلم:

اعتقاده الثابت بأنه قرر الإقامة في المجتمع الغربي ليحقق فوائد لم يستطع تحقيقها في موطنه السابق، وستكون هذه الرغبات مالية أو علمية أو العيش في الحرية أو تمتعه بميزات الحضارة الغربية الكثيرة والمتنوعة.أو انفلاته من تخلف وفقر المجتمعات العربية.

إن مشروع المواطنة الجديد بالنسبة له هو مشروع مكمل وتابع لمواطنته الأصلية في بلده الأصلي، ولذلك فهو لن ينسلخ عن مجتمعه الأصلي السابق بل سيبقى على تواصل معه، أي أنه لن ينسلخ عن أخلاقيات وعادات وعقائد (وتطرف عند البعض) مجتمعه الأصلي. ورأينا أن المسيحيين العرب الذين توطّنوا في أمريكا وكندا لم ينتموا إلى المسيحية الغربية بل حافظوا على مسيحيتهم الشرقية وأقاموا كنائس خاصة بهم.وظل الجيل الثاني والثالث منهم ينتمي إلى هذه الكنائس الشرقية. وبنفس الوقت فقد حافظوا على طبائع شرقية تميزهم عن المجتمعات الغربية.

ظلّت مشاركات العرب المغتربين قائمة وثابتة في بناء وتطوير وتثقيف المجتمع العربي الإسلامي. فمنذ الهجرات الأولى أتحفنا الشعراء بالقصائد العربية المميزة، وحتى اليوم مازال المفكرون والباحثون العرب المغتربون ينشغلون بأمور مجتمعاتنا.ويبحثون لنا عن الحلول. وبمتابعة وسائل الاعلام العربية نجدهم يشاركون في برامجها واستطلاعاتها باستمرار. وبرغم الهجرة والمواطنة فإنهم يعيشون هناك أجساداً لكن عقولهم وقلوبهم تتجه إلى مواطنهم الأصلية. وهذه الحال لاتنطبق بالضرورة على كافة الشعوب الأخرى التي توطنت في الغرب.

obeikandl.com

إن العربي المسلم المقيم في الغرب ينتمي في وقت واحد لمجتمعين وهما مجتمعه الشرقي المسلم الأصلي الثابت بالنسبة له ومجتمعه الغربي الجديد وسيبقى يحاول التوفيق بين هذين الانتمائين. وإن محاولاته التوفيقية تلك ستزيد من غربته ونكره للمجتمع الغربي. وفي كل أداء يفعله سيقيس أداءه وفق معيارين كبيرين هما معياره الأصلي ومعيار المجتمع الغربي الجديد، فإن سمح له المجتمع الجديد بالقيام بعمل أو أداء ما فإنه يجد قوة ضاغطة تجعله يقيس هذا الأداء بمعيار انتمائه الأصلي. وإن حالة الانتماء الدائم إلى مجتمعين تحمّل الفرد عبئاً ثقيلاً إذ إنه يعيش مع نقيضين اثنين، بينما المواطن الغربي الأصل الذي يتعامل معه يعيش مرتاح البال من هذه الناحية لأنه لايحمل هذين النقيضين. وعندما يصبح الفرد مشتتاً بين انتمائين وعندما يصبح في حالة اضطراب حتمية بين شد أمامي وشدّ خلفي معاكس يتوجب على هذا الفرد اتخاذ قرار يحل مشكلته. وهنا وفي أغلب الأحيان يعود إلى الالتزام بروابطه الأصلية ويقوم بتعميق هذا الالتزام فيصبح البعض أكثر تديناً مما كانوا عليه في موطنهم الأصلي، ويصبح آخرون أقرب إلى التطرف ويصبح قسم منهم متطرفاً حقيقياً.

لأن الغرب بديمقراطيته يبيح للفرد حالة التطرف الديني السلمي هذا التطرف الذي تلحظه وتميزه أجهزة الأمن والحكومة العربية وتمنعه في بلدانها، يلجأ إليه المسلم المواطن في الدولة الغربية ويعتبره شكلاً لممارسة الحرية التي حرم منها في بلده.

إنّ توطّن مواطنين هنود ويابان وأفارقة في المجتمع الغربي أسهل من توطن المسلمين فيه لأن أولئك لايحافظون مثلنا على انتمائهم الأصلي. ولأن ذلك الانتماء لايحوي روابط وميزات المجتمع العربي المسلم. ففي مطلع العام ٢٠٠٦ تظاهر الفرنسيون من أصل جزائري وأحرقوا حوالي خمسة آلاف عربة وحافلة، وقد مضى على إقامتهم في فرنسا نصف قرن من الزمن، ورغم ذلك فإنهم مازالوا يعيشون في أحياء تعزلهم عن المجتمع العام كله، ولم يقدروا على الامتزاج مع ذلك المجتمع.

خوف البعض من نتائج التحديث

يخشى جيل الشباب المسلمين في الغرب من النتائج التي قد تحدث لهم في حال رضاهم وموافقتهم على تحديث المفاهيم الفكرية لديهم. إذ تضع الحداثة الكثير من القيم والتقاليد موضع مساءلة. فمثلاً الحرية الشخصية على الطريقة الغربية ينظر إليها من طرف كثيرين لا فقط كأمر متناقض مع المبادئ الدينية بل كأمر متناقض مع أسس الحياة الاجتماعية. وينظر بشكل أخص إلى تحرر المرأة بالكثير من الارتياب انطلاقاً من تقليد شرقي يتأسس على الأبوية المطلقة. وبمقدار ما يصبح بالإمكان أن تحسب كل هذه المستجدات على الغرب يسهل الحكم عليها بالرفض. ومن هنا نلمس الانتشار الأكثر للتطرف الديني بأنواعه ودرجاته عند مسلمي الغرب وتضاؤله عند مسلمي البلدان الإسلامية. وهذا الخوف من نتائج التحديث في الفكر الإسلامي موجود عند المسلمين عموماً. ونلمس نتائجه المؤلمة التي أدّت إلى تخلف الفكر ثم المجتمعات الإسلامية.

اتّساع المجتمعات الغربية

بالاطلاع على التنوع الكبير لانتماءات الأفراد داخل المجتمعات الغربية نكتشف أن مجتمعاتنا تكاد تكون ذات نمط انتمائي واحد. اذ تعتبر الولايات المتحدة هي البلد الأكثر تنوعاً للمواطنين في العالم: فهي تحوي كافة الجنسيات والأعراق والقوميات والديانات والمذاهب والحركات العديدة التي تتبع كافة المناهج التي عرفها العالم. إضافة إلى الأحزاب الامريكية والعالمية، واذا قمنا بتقسيم الانتماءات داخل المجتمع الأمريكي فستكون الأرقام كبيرة جداً. ومن المفيد أن نتعلم من الأمريكيين الذين استطاعوا ضبط كل تلك الانتماءات لتؤدي في النتيجة أدواراً تصب في صالح الدولة،

ففي الولايات المتحدة مثلاً زنجي أفريقي وبوذي هندي وكوري ويهودي وأوروبي ودرزي لبناني وشيعي عراقي وعلوي سوري واسماعيلي باكستاني وإخوان مسلمون

obeikandl.com

وألماني متعصب قومي وياباني.. الخ وتلك كما نرى انتماءات متباعدة كثيراً ولانجد فيها اقتتالات. بينما مجتمعنا يضيق بنا ويضمنا ويحوينا فيجعلنا حزمة واحدة ونحن في الحقيقة كذلك. فالفلسطينيون الذين تقاتلوا في غزة خلال شباط ٢٠٠٧ هؤلاء إخوة بالفعل. فمقاتل فتح تناول الطعام مع مقاتل من حماس قبل أيام، وهم في بعض الحالات إخوة أو أبناء عم . وقبل أسبوع واحد كانوا يتصدّون معاً للعدو الصهيوني.

وهنا نستطيع أن نطرح هذا السؤال:

- لماذا لاتشكل عوامل التنوع الانتمائي الكبير في الغرب اقتتالات داخلية، وبنفس الوقت فهي تتسبب في مجتمعاتنا باقتتالات كثيرة؟؟

ان الوضع العام في بلداننا غير مستقر وحتى يومنا هذا مازالت بلداننا في مرحلة البناء والتطوير، إننا في حالة قلق دائم، وهذا القلق ينعكس على الأفراد ويظهر بطرق التعبير عن الانتماء الصغير. مواطننا مازال يسعى للحصول على لقمة الخبز، فهو في حالة صراع كامن ودائم مع المجتمع العام كله.

الغرب يتدخل بوضوح كبير وهو يعلن عن تدخلاته وأعماله الخبيثة التي تهدف إلى قيام النزاعات الطائفية والعرقية وغيرها. وإن كل متابع للأحداث يلمس وضوح ذلك التدخل ووقاحته. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

أزمات المسلمين الأوروبيين

- في الغرب أفراد وجماعات وأحزاب لاتريد التحاور مع المسلمين الأوروبيين، وتسعى للحد من هذه الظاهرة، وأوروبيون آخرون يسعون لتضييق الخناق على المسلمين هناك. الأمر الذي يقلق المسلمين باستمرار ويهدد راحتهم وأمنهم.
- حمل المسلمون معهم من بلدانهم الأصلية تخلفهم في فهم الإسلام وحافظوا عليه هناك، وتعاملوا مع المجتمع الجديد وفق هذا المفهوم الخاطيء عن الإسلام. فكانت نتيجة ذلك إشكالية في علاقتهم بالمجتمع الغربي، وإشكالية مواطنتهم وحقوقهم المتنوعة. فالمسلم الغربي يماثل المسلم العربي في معرفته عن الإسلام، وهو

obeikandl.com

يعاني من مشاكل الربط بين الإسلام كعقيدة والحياة اليومية التي يعيشها. كان يتوجب على المسلمين الأوروبيين أن يتطوروا في فهم الإسلام، ويتخلّصوا قبل ذلك من مشاكلنا نحن، ويأتونا بنظريات جديدة في فهم الإسلام. لكنّ هذا لم يحصل. بل إنّ ماحدث هو العكس فهم مازالوا يعتمدون على فكرنا الإسلامي السائد (وهو الفكر الناقص والمشوه للإسلام) وهو الفكر الدارج في البلدان العربية ويحرصون على استيراده باستمرار، ويقومون بتقليده. ولأسباب عديدة فهم يتعصبون له أكثر من تعصبنا نحن لهذا الفكر.

- فيما نحن نعتقد بأن تطوير الفكر والبحث الإسلامي، وتطوير فهم الإسلام وتعايشه مع الحضارة العالمية الجديدة، نعتقد بأن ذلك سيأتينا من المسلمين الغربيين، لأنهم أكثر اطّلاعاً على مكونات الحضارة الغربية الحديثة وعلى علوم الغرب، في الوقت نفسه فإن المسلمين الغربيين يعتقدون بأن مصدر الفكر والفهم الإسلامي ينحصر في نتاج المسلمين العرب، وفي الفقه الموروث، ويعتقدون بأن أيّ تحديث في الإسلام الموروث والدارج في بلداننا إنما هو نوع من الابتعاد عن الإسلام نفسه.

- يقوم المسلمون بمحاولة فهم كافة مظاهر الحضارة الغربية والتعبير عنها وفق مفاهيمهم الدينية الإسلامية السائدة، بما في ذلك العلمانية الغربية وكافة العلوم الحضارية.ولأن مفاهيمهم الإسلامية ناقصة، فإنهم لن يتوصلوا لإدراك الأبعاد العقلانية لتلك الحضارة.ولن يقدروا على التحاور معها.

- لقد تخلّف المسلمون الأوروبيون كثيراً عن فهم الغرب واللحاق بركبه، وتأخروا زمنياً عنه، فهم مازالوا يطرحون مشكلات وقضايا كان يتوجب عليهم أن يتوصلوا إلى حلول لها منذ عشرات السنين. فهم مثلاً مازالوا يتساءلون عن قدرة الإسلام على التعايش مع الغرب ومؤسساته. ويعظّمون مشكلات تافهة وصغيرة. فمشكلة حجاب تلميذتين مسلمتين في فرنسا شغلت المسلمين عقداً كاملاً من الزمن، واجتهد في تحليلها آلاف الإسلاميين، بل وصدرت عنها مؤلفات وكتب. ومن

المؤكد أن مشكلة مشابهة لو حدثت في دولة عربية فلن تشغل المسلمين أنفسهم الذين انشغلوا بتلك القضية الفرنسية.

- إنّ خيار المواطنة في أوروبا يعتبر بالنسبة لجميع المسلمين المهاجرين قفزة كبيرة ومشروعاً فريداً ونجاحاً لم يتحقق للكثير من العرب الآخرين. وإنّ البلدان العربية مفتوحة لمواطنة أي واحد منهم، ورغم ذلك فلن يعودوا إلى أي بلد عربي. أي أنهم يصرّون بعناد على خيار المواطنة في أوروبا. وبنفس الوقت فهم يصرّون على عدم تقبل المجتمع الأوروبي وعلى رفض الحضارة الغربية، وعلى معاداة الكيان الغربي كله. وبهذا فهم يعيشون في تناقض كبير مع أنفسهم.

- في الغرب يصبح الفرد مجبراً على أن يكون سفير الإسلام وممثلاً له ومتحدثاً باسمه. فهناك يسأله الجميع عن الإسلام وأحكامه وشعائره وفقهه. وهذه الأسئلة الكثيرة والتي لاتنتهي تجبره على أن يكون ناطقاً باسم الإسلام، وبالتالي عارفاً بعلوم الإسلام الكثيرة، ثم تجبره على أن يكون صورة حية وحقيقية عن الإسلام. ومن هنا يأتي أحد العوامل التي تجعل المسلم متعلقاً بدينه الإسلامي، فيقوم عندئذ باستيراد الصور والتجسيدات الإسلامية الجاهزة في البلدان العربية، لكن هذه الصور قد تكون مشوبة وخاطئة.

- لقد حمل المسلم معه إلى الغرب صورة العداء القديم معه، واحتفظ بصورة المستعمر الغربي الذي مارس القتل والتدمير والاستغلال، وإن كثيراً من هؤلاء يرى في نفسه شخصية عمر المختار وسلطان باشا الأطرش وغيرهما من مناهضي الاستعمار، وبنفس الصورة يرى أن محاوره ومواطنه الغربي هو الجنرال غراسياني وألنبي وغيرهما من جنود الانتداب القديم. ومادامت تلك الصورة قائمة في الذهن الإسلامي الغربي فلن يتمازج المسلمون مع مواطنيهم الأوروبيين الآخرين.!!. ومقابل هذه الصور التاريخية مازال الأوروبي يرى في كل مسلم صورة طارق بن زياد وموسى بن نصير وغيرهما ممن زحفوا باتجاه أوروبا ليقيموا فيها طوال سبعة قرون من الزمن. ومع استمرار تلك المشاعر يصعب التحاور بين مسلمي الغرب ومواطنيهم وحكوماتهم. وإنّ إيجاد حلّ لهذه المعضلة يقع على كاهل المسلمين أنفسهم بالدرجة

الأولى. وهم بسلوكهم وأعمالهم المسؤولون عن استمرار تلك المعضلة.فللتخلص منها لابد من انتزاع الصور القديمة عن الغرب والبدء معه بمحاورة جديدة وفق أسس عصرية قائمة.

تشكيل صورة الإسلام عند الغربيين

يحاول الغرب جاهداً كأفراد ومؤسسات تشكيل صورة واضحة عن الإسلام نفسه، تلك التي من خلالها يريد التعرف على المسلمين، أولئك الذين يتمثلون بحركة القاعدة ويهددون استقرار الغرب، وهؤلاء الذين هم أبناء الغرب نفسه ومواطنيه المؤثرين فيه. لكنّ الغرب لن يتعرف على الإسلام بهذه السهولة، ولن يستطيع أن يفهم المسلمين من خلال كافة صور الإسلام التي تتشكل عنده.لأن المسلمين أنفسهم لايمثّلون صورة عن الإسلام. كيف تتشكّل صورة الإسلام عند الأوروبيين غير المسلمين ؟ ولماذا يخطئ الدارسون للظاهرة الإسلامية أو المتحدثون عنها في فهم الإسلام ووصفه والتعامل معه ؟. إنهم يقيمون ذلك الفهم على ثلاثة ركائز أساسية وهي:

تجارب الغرب القديمة مع الإسلام وتشمل تاريخ الحضور الإسلامي المزدهر في الأندلس، والذي تلته الحروب الصليبية ثم الانتداب الغربي للبلدان العربية والإسلامية. وبالنسبة للحضور الإسلامي الأندلسي، فان الفكرة الشائعة في المجتمع الغربي عموماً تعتبر أن ذلك كان احتلالاً ظالماً. ويستقون منه دروساً تجعلهم يقللون من نفوذ المسلمين في الغرب. ورغم أن تلك النظرة خاطئة ولايمكن البناء عليها والتعامل مع المسلمين من خلال نافذتها الضيقة فإن الغرب يعتبرها أساساً مهماً في معرفة الإسلام والمسلمين وفي التعامل معهم.وستبقى تلك واحدة من عقبات الحوار الإسلامي مع الغرب إلى أن تتكاثف الجهود المشتركة وتستطيع حلّ ألغازها.!. ونحن المسلمين علينا أن نعترف في الوقت نفسه بأن عيوننا مازالت تنظر إلى ذلك المجد الغابر في الأندلس وتتحسّر على زواله. ونتمنى لو يعود، وقد أنشد الشاعر الباكستاني محمد إقبال يقول:

obeikandl.com

الصين لنا والعرب لنا

والهند لنا والكل لنا

أضحى الإسلام لنا دينا

وجميع الكون لنا وطنا

وهذه الأبيات تتغزّل بالمجد الإسلامي الغابر. والذي أضاعه المسلمون. وتؤكّد على اعتقاد المسلمين بضرورة استعادته وامتلاكه.

وتتشكّل صورة الإسلام عند الغربيين أيضاً من خلال رؤيتهم للمسلمين أنفسهم ولأعمالهم ونشاطاتهم، ومن ذلك أفواج المهاجرين غير الشرعيين والفقراء الجائعين الذين يعبرون البحار والحدود ويعرّضون أنفسهم للأخطار، وصور المتحجبات المسلمات في شوارع أوروبا، ذلك الحجاب الغريب بالنسبة للأوروبي. وصور صفوف المصلّين الراكعين والساجدين في مساجد أوروبا، وصور المشايخ بلحاهم الطويلة وثيابهم الطويلة الفضفاضة وعماماتهم التقليدية.

وتتكون الصورة الإسلامية عند الأوروبي أيضاً من أعمال المسلمين ونشاطاتهم ونتاجاتهم الصحفية والفكرية والدينية وغيرها. ومن تلك الأعمال بالطبع أعمال رجال القاعدة التي استهدفت وهددت عدة مرات مناطق ومواقع غربية.وتصريحات القاعدة التي لاتتوقف عن تهديد الغرب كله والمسيحية كلها. ويضاف إلى ذلك تمرد المسلمين في ضواحي باريس واحراقهم لآلاف السيارات والأملاك العامة.ولعلّ تلك الأعمال تؤدي إلى المقاطعة بين الإسلام والغرب ولن تعزز الحوار والتفاهم بينهما.أما نتاجات المسلمين الكثيرة والمتنوعة فقد نجحت واشتهرت في المجال الأدبي بالدرجة الأولى. حيث وصلت الرواية والقصة الإبداعية، التي أنتجها مسلمون، إلى كل بيت أوروبي تقريباً، لكن فيما يخص الأبحاث الإسلامية الحضارية والفكرية ودراسات تطوير الفكر الإسلامي والتعريف به، فلم يجرؤ المسلمون الغربيون عموماً على الخوض فيها، وبنفس الوقت فلم ينجحوا بذلك، إذ لم نسمع عن أي بحث أو كتاب فكري إسلامي حقق نجاحاً وانتشاراً واسعاً في أي دولة أوروبية.رغم أن الأوروبيين بحاجة ماسّة لمثل تلك الأبحاث.

obeikandl.com

والغربي يسعى للتعرف على الإسلام من المسلمين أنفسهم، لكن المسلمين عموماً مازالوا يخلطون بين عدة أشكال من الإسلام المعاصر، وتتمثل هذه الأشكال :

الإسلام بصفته ديناً وعقيدة، وهنا تكثر تحليلات الفقهاء وتناقضاتها أحياناً. كما وتتوزع المعرفة الإسلامية على مذاهب متباينة في الفهم للإسلام ولأحكامه.

الإسلام بصفته تاريخاً وأشخاصاً وأحداثاً. حيث كان للأحداث التاريخية وللأشخاص أهمية ودور كبير في التعرف على الإسلام أو الارتياب في معرفته أحياناً. فلا أحد ينكر تأثير أشخاص مثل ابن تيمية وابن عربي ومحمد بن عبد الوهاب وسيد قطب في اعطاء صور متعددة عن الإسلام.

الإسلام كسياق اجتماعي وموروث ثقافي، وهنا تختلط عادات وخصائص الشعوب مع العقائد والمفاهيم الإسلامية.

ومن كلّ ماتقدّم نكتشف ضرورة أن يكون كل فرد مسلم صورة صحيحة عن الإسلام. فهو إن رغب أو لم يرغب يعتبر في نظر الغرب صورة واقعية ترمز للإسلام وتعبّر عنه.

مصدر التطرف الديني

في سورية كمثال على الإستعمار قام الانتداب الفرنسي بكافة أشكال تفتيت المجتمع وضرب كياناته بعضها ببعض، وقبل الخوض في الحديث عنها يتوخى الحذر عند القاريء واعتبار الأحداث التي سنذكرها من صنع الاستعمار، وبناء عليه فلايمكن أن نجرّم أية فئة تعاملت معه آنذاك، وبالتالي فلايمكن ربط الماضي بالحاضر:

تم تقسيم سورية إلى دويلات صغيرة تقوم على أسس عرقية ومذهبية وطبقية.

استقدم الفرنسيون جنوداً مغاربة كانوا يقاتلون الثوار السوريين وهم أبناء دينهم وعروبتهم. وهذا ماولّد آنذاك عداءً شعبياً للمغاربة.

obeikandl.com

كما وقام الاستعمار البريطاني بالتدخل المباشر في شؤون الدين الإسلامي نفسه، وفي عقائد أهله، فبغية التأثير على المسلمين أنفسهم، ولكي يصبح الأفراد أداة ليّنة وطيّعة في يده، قام البريطانيون بابتداع مذاهب إسلامية جديدة في مناطق نفوذهم السابقة في الهند وباكستان وغيرها. مما أدى إلى انشقاق أفراد من المسلمين عن المذاهب الرئيسية واللحاق بتلك المذاهب الاستعمارية الجديدة أنذاك. ومن بين تلك المذاهب الأحمدية والبهائية. وتلك مشاريع تخريب للداخل الإسلامي قام بها الغرب منذ عقود، ومازال يحاول العمل بها في هذا العصر فنسمع عن بدعة سلمان رشدي ودعم البريطانيين له. ونشاهد فضائية ذات صبغة إسلامية ظاهرياً تبثّ من لندن بالعربية وتمارس تشويه الفكر الإسلامي بكليته.

فتن الغرب الجديدة

لقد وجد الأمريكيون والبريطانيون أنفسهم محاطين بشعب ثائر وعظيم ورافض للاحتلال، وكانت أهم مقاومة للغزو الأمريكي تتمثل في المقاومة السنية. فقامت الدولة الغازية بنشر الفتنة الطائفية في العراق نفسه وفي الوطن العربي وفي العالم الإسلامي كله. وانشغلت بنشر الطائفية حملات إعلامية كبيرة تم توظيفها وتمويلها لتوصل رسالة الطائفية إلى كل مسلم أينما كان:

فقد انقسم الإعلام العربي غير الحكومي إلى قسمين، قسم يروّج لنصرة السنة ويكيل الاتهامات على الشيعة العراقيين. وقسم يروج للشيعة العراقيين ويتهم السنة. وقد تجاوبت الأحداث في العراق مع تلك الفتنة، ولاشكّ في أن الأمريكيين أنفسهم كانوا وراء أحداث وتفجيرات تحمل صفة طائفية.

وأمام هذه الأحداث يصبح نوعاً من الجهل والانسياق في المشروع الاستعماري أن يخرج صوت محلي من بيننا ويتهم بعضنا بصناعة الطائفية ويحمّله مسؤولية الاقتتال الأهلي.

وإن كل شخص يلجأ إلى اتهام نوع من الإسلام بأنه يمارس الاقتتال الطائفي ويحمّله المسؤولية عنها إنما يكون هو نفسه الذي يمارس الاعتداء الطائفي والشحن الطائفي والعمل على توليد صراعات طائفية وتأجيجها. ويواجه المسلمون تحديات استعمارية دائمة، اسرائيل التي لاتتوقف عن مشروعها الإبادي، ودول الغرب التي غزت العراق ومازالت تمارس فيه الإبادة ومشاريع التشويه الكامل للعراق ولتاريخه ولشعبه. وعلاوة على ذلك فهي تهدد الدول الإسلامية الأخرى وتهدد بغزوها. بل إن حكّام الغرب نفسه تحدثوا مرات كثيرة عن حرب صليبية جديدة وحرب شاملة على الإسلام.!!

لقد أصبح الاستعمار عقدة كل مسلم وكل عربي تقريباً. فهذا الانشغال الاستعماري الدائم بالمسلمين يضطر بعضهم لاتخاذ مواقف عدائية متطرفة من الغرب عموماً ومن المسيحية الغربية كلها أحياناً. وتظهر هذه العدائية في أعمال منظمة القاعدة، وفي كتابات حديثة عديدة لمفكرين ورجال دين إسلاميين، وفي مواقف شعبية كثيرة في الشارع الإسلامي.

إن انغماسنا في كره الممارسات الاستعمارية الكبيرة ضد المسلمين يجب أن تكون نوعية وغير شاملة.ويجب ألاّ تغشي أبصارنا عن حقائق أخرى شديدة الأهمية.ومن ضمن هذه الحقائق:

الغرب الذي يغزو بلداننا ويهدد الأخرى ويتحالف مع الصهيونية لايمثّل شعوب الدول الغربية. بل إنه يمثّل طبقة الحكّام والسياسيين، وهؤلاء أقلة في بلادهم، ولم يرض عنهم المجتمع العام كله. وهم حكّام مستبدون اغتصبوا السلطة، ولم يكترثوا بآراء شعوبهم. ولعلّ اتفاقهم مع اسرائيل على مشاريع معادية للمسلمين يجعلهم عصابة صهيونية عالمية تمارس العدائية على المسلمين وعلى شعوب الغرب أنفسهم. فعندما زار جورج بوش دول أمريكا الجنوبية قابلته الشعوب بالرفض والاستنكار والطرد. وفي بلدانهم يواجه حكّام الغرب المعتدون على بلداننا استنكاراً شديداً.

في المجتمع الغربي اليوم رفض لسياسة الحكام، وهذا مانلاحظه في طبقات سياسية ضغطت على توني بلير وعلى جورج بوش وعلى غيرهما في إيطاليا وأسبانيا وهولندا وأستراليا.

في المجتمع الغربي اليوم إقبال كبير على الإسلام ويتخذ هذا الإقبال عدة أشكال، فمنها دراسة اللغة العربية والتعرف على الإسلام، ومنها دراسة الإسلام والتاريخ الإسلامي والتخصص به في المراحل الجامعية والعليا، ومنها اعتناق الإسلام والإيمان به. إذ تقبل أفواج كبيرة على اعتناق الإسلام كقرار فردي توصل إليه الشخص دون أن يقوم أي مسلم بتعريفه على الإسلام أو بدعوته.

إننا نتفق مع المسيحية عموماً والمسيحية الغربية أيضاً في نقاط تفاهم مشتركة عديدة، وعلى هذا فمن الحكمة أن نتحالف معها. وفي هذه السنوات خصوصاً نحن في مواجهة كبيرة وتحد ديني مع المسيحية الصهيونية التي تشتغل ليل نهار بهدف إيقاف موجات الأسلمة في المجتمعات المسيحية كلّها.

إن مواجهتنا للمشاريع الاستعمارية الكبيرة يجب أن لاتجعلنا ننغمس في معاداة الغرب كله، بل إن الطرق الواسعة المفتوحة أمامنا والتي لايستطيع حكّام الغرب إغلاقها دوننا تتمثل في تحالفنا مع أبناء الغرب والتحاور معهم وكسب مواقفهم، وسيكون ذلك تحولاً في معركة مواجهتنا مع الغرب. وستكون مكاسبنا فيها أكبر وأكثر.

طبقة حكّام الغرب

الغرب الذي يغزو بلداننا ويهدد الأخرى ويتحالف مع الصهيونية لايمثّل شعوب الدول الغربية. بل إنه يمثّل طبقة الحكّام والسياسيين، وهؤلاء أقلة في بلادهم، ولم يرض عنهم المجتمع العام كله. وهم حكّام مستبدون اغتصبوا السلطة، ولم يكترثوا بآراء شعوبهم. ولعلّ اتفاقهم مع اسرائيل على مشاريع معادية للمسلمين يجعلهم عصابة صهيونية عالمية تمارس العدائية على المسلمين وعلى شعوب الغرب

أنفسهم. فعندما زار جورج بوش دول أمريكا الجنوبية قابلته الشعوب بالرفض والاستنكار والطرد. وفي بلدانهم يواجه حكّام الغرب المعتدون على بلداننا استنكاراً شديداً.

في المجتمع الغربي اليوم رفض لسياسة الحكام، وهذا مانلاحظه في طبقات سياسية ضغطت على توني بلير وعلى جورج بوش وعلى غيرهما في إيطاليا وأسبانيا وهولندا وأستراليا.

الفكر التقليدي

آن الأوان لأن نلتزم بالإسلام ونرفض الفكر الشعبي التقليدي الذي يدعونا لكراهية الغرب كله ويحتّم المواجهة معه. والذي يعتمد في أسسه على تاريخ الحروب الصليبية. اذ من الجور أن نحكم على المواطن الغربي المعاصر بناء على حكم أسلافنا على أسلافه. وكان مشروع سيد قطب أول مشروع إسلامي مواجه للغرب كله في العصر الحديث، إذ قام بتكفير الغرب وفصله عن المسيحية (التوحيدية) وجهّله وحتّم المواجهة معه. وتتالت هذه الدعوات الفكرية المتعصبة بعد سيد قطب، ويمكن أن نرصد في المكتبات العربية مئات الكتب الإسلامية التي تحتّم المواجهة مع الغرب. وكان حديثاً كتاب الدكتور محمد عمارة المعنون (الإسلام والمسلمون في عيون غربية) ويورد الكاتب عشرات الأقوال التي قام بالبحث عنها خصيصاً وانتقاها بدقة ليبرهن لنا على أنّ الغرب يكرهنا كرهاً أعمى وأنه مصمم على مواجهتنا. ويخرج قاريء الكتاب بموقف عدائي كبير للغرب وللمسيحية الغربية. ويصل إلى (حكمة محمد عمارة) التي تتمثل بعدم إمكانية التحاور مع الغرب والمسيحية. وبذلك يعيدنا الدكتور عمارة إلى الوراء قرناً من الزمن، ويمنعنا من رؤية حقائق المجتمع الغربي. وإن مثل هذا الكتاب يقوم بزراعة بذور التطرف والعدائية، وبنفس الوقت وعندما يعيدنا بموقفه الفكري إلى الوراء فإنه يجعلنا رجعيين بعيدين عن أحداث العالم المعاصر. وكان بإمكان محمد عمارة أيضاً أن يجمع في كتابه مئات الأقوال الغربية التي تدل على ضرورة التحالف مع المسلمين

obeikandl.com

وتمتدح المسلمين لأن تلك الأقوال موجودة حقاً ويمكن جمعها.! لكنه هو نفسه كان يحمل مشروعاً عدائياً للغرب وعمل على إحضار الأدلة على مشروعه. إننا حينما ننتقد مفكراً إسلامياً سنّياً بديمقراطية تهدف إلى تطوير البحث والفكر عند المسلمين، لانقوم باستعدائه، بل نطالبه بتطوير أبحاثه التي تؤثر على فكر الشارع الإسلامي، ورغم أنني كباحث أستطيع أن أجمع مئات الأقوال والأدلة التي تشير إلى عدائية الغرب للعرب والمسلمين فلايمكنني أن أستنتج منها قاعدة نهائية تحرّض على ترسيخ هذه العدئية. ذلك أسلوب قديم وتلك ثقافة بائدة يجب علينا أن نطوي فصولها وعناصرها، ونبدأ من جديد.

في البحث عن كينونة إسلامية في الغرب

يبحث المسلمون في الغرب عن إيجاد كينونة إسلامية واضحة خاصة بهم ويرجع ذلك إلى سببين:

أحدهما: الحاجة لإيجاد ملجأ بعيد عن العداوة المتزايدة داخل المجتمع الغربي تجاه المسلمين. وإن هذا الاتجاه السلبى قد تزايد بصورة كبيرة منذ هجمات الحادى عشر من سبتمبر، إذ تظهر الدراسات هذه الزيادة فى العداوة وقد أوضحتها جامعة كورنيل الأمريكية فى ديسمبر عام2004 ، والتى كشفت أن ٤٤٪ من الأمريكين الذين دخلوا ضمن هذه الدراسة يعتقدون أن الحكومة الأمريكية تقيد الحريات المدنية للمسلمين الأمريكين.

والسبب الثانى هو في أن يكونوا جزءاً من البعث الإسلامى المنتشر فى جميع أنحاء العالم .وبالنسبة للكثيرين من مسلمي الغرب ، لكى تكون مسلماً ظاهراً للجميع فلابد من القيام بالاعتراض على الحركات العالمية التى تدين الإسلام. وإن جيل الشباب منهم يشعرون أن عليهم الاختيار بين أن تصبح جزءاً متكاملاً فى المجتمع الغربي والذى يتطلب الموافقة على الأعراف الاجتماعية التى يجدونها شيئاً بغيضاً عن عقيدتهم، أو عليهم الانضمام إلى حملات البعث الإسلامى فى جميع أنحاء العالم، والكثير منهم يفضلون الاختيار الثانى. إن الدراسات الحديثة توضح

obeikandl.com

هذه الاتجاهات. وإحدى الدراسات التى أجريت في جامعة كنتاكى، أظهرت أن هناك تزايداً كبيراً فى عدد المساجد بسبب زيادة عدد المقبلين على الصلاة فى هذه المساجد.

وتبين أنه فى المتوسط فإن الشخص الذى يشارك فى المساجد يبلغ من العمر ٣٤ عاماً، وهو مهاجر منذ فترة طويلة متزوج ولديه أطفال ودرس فى الجامعة وإلى حد ما ميسور الحال. وحوإلى الخمس هم من الجيل الثانى من المهاجرين. وعلى عكس المسلمين فى العالم الإسلامى الذين ينظرون إلى المساجد أساساً على إنها دور للعبادة فقد اكتشف الباحث باجبى أنه على الرغم من أن ٥٨٪ من هؤلاء الذين أجريت عليهم الدراسة لايرون ذلك فإن ٤٢٪ ينظرون إلى المسجد على أنه مركز للتعليم والأنشطة .وإن معظم الذين قاموا بعملية المسح عليهم، يعتقدون أن الهدف الرئيسى من المسجد هو إمداد الشباب بالمعرفة الإسلامية. لقد تغير دور المسجد كثيراً في الغرب ، فأصبح مكاناً للاختلاط بالمؤمنين الآخرين ومكاناً للتجمع التعليمى والاجتماعى.

إنّ هذه المحاولة للتجمع الإسلامي وخلق كينونة خاصة بأتباع الدين الحنيف داخل مجتمع كبير وواسع هي محاولة تقوقع وانكفاء على الذات وهي في حقيقتها تقوقع ونوع من التطرف الإسلامي. ورغم أننا نتفهم ملابسات الظروف التي تحيط بالمسلمين فلعلّه من الأفضل عدم اللجوء إلى هذا التقوقع.

وعند سؤال المسلمين. كيف يمارسون طريقة عبادتهم فإن هؤلاء الذين طبقت عليهم دراسة المسح قد انقسموا بين ٣٨ ٪يفضلون طريقة مرنة لتفسير النصوص المقدسة، ولصياغة هوية إسلامية جديدة، فقد رجع الشباب الأمريكي إلى التعاليم الأساسية للإسلام، وذلك من خلال دراسة القرآن والسنة، وهما أهم مصدرين للشريعة. وهذا مايجعلهم يلتقون مع السلفية.وأظهرت دراسات أخرى تصاعد العدائية ضد المسلمسن.

لقد قاموا بتخريب المساجد وكان الأطفال هم هدف التعليقات العنصرية فى المدارس العامة .لقد عانى المسلمون التفرقة فى المعاملة فى أعمالهم،مما يؤدي إلى

obeikandl.com

تصاعد الشعور بالاغتراب والقلق والخوف في صفوف المسلمسن. وللتخفيف من تلك الأزمة قام العديد من الجامعات بافتتاح فروع جديدة لتدريس الإسلام والتاريخ الإسلامي، ونرى ذلك في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة. فقد تبين أن جهل السكان بالإسلام كان أحد أسباب ظاهرة العدائية للمسلمين. وتقوم تلك الكليات إضافة إلى مؤسسات أخرى بندوات ولقاءات وحوارات للتعريف بالإسلام.ويميل قسم من المتعصبين المسلمين إلى معاداة حكومات بلدانهم الغربية . ففي أمريكا تيار يعتبر المساعدات الأمريكية المقدمة إلى منظمات أو حكومات إسلامية حراماً ويتوجب رفضها، ويبنى هذا الرأي على اعتبارها أموالاً قذرة. وكنتيجة لتلك الأوضاع الساخنة في الغرب يلاحظ تنامي تيار إسلامي جديد متشدد ويخشى أن يصطدم هذا مع الحكومات الغربية في المستقبل. وفي ألمانيا كانت الحكومة الألمانية والمؤسسات العديدة فيها تجد صعوبة في مخاطبة الكيان الإسلامي نظراً لتعدد المؤسسات والجماعات الإسلامية هناك وتعدد اتجاهاتها ومواقفها. وفي نيسان ٢٠٠٧ اجتمع بضعة آلاف من زعماء الجماعات الإسلامية المتعددة في ألمانيا واتفقوا على توحيد مؤسساتهم كلها ضمن مؤسسة واحدة وادارة واحدة وتحمل رأياً واحداً، ويعتبر هذا الاتحاد الإسلامي في ألمانيا هو الأول من نوعه على الصعيد العالمي كله. إذ بين تلك الجماعات التي اتحدت اختلافات منهجية تقليدية. فمنها الجماعات السلفية التي تتناقض مع الصوفية ومنها الشيعية والإخوانية.

محاولة تجنيد مسلمي أمريكا لمواجهة التطرف الإسلامي

عرض بداية عام ٢٠٠٧. كتاب من تأليف باول باريت بعنوان الإسلام الأمريكي: النضال من أجل روح ودين. وهو كتاب معتدل ويقدّم فكرة شاملة عن أوضاع المسلمين في الولايات المتحدة. ويدافع الكاتب عن قضايا المسلمين. بل انه يبدو قد تفهّم كلّ المشاكل التي يعاني منها مسلمو الغرب. وإنّ مثل هذه المواقف التي تصدر عن أبناء الغرب من غير المسلمين تبشّر بمستقبل زاهر للإسلام في ذلك العالم.

ينطلق المؤلف في تناوله لموضوع الإسلام الأمريكي من حقيقة أن عدد المسلمين في الولايات المتحدة يزيد على ٦ ملايين أمريكي، وأن الإسلام أصبح الدين الثاني في الولايات المتحدة بعد المسيحية. ذلك في الوقت الذي يجهل فيه الكثير من الأمريكيين المعلومات الأساسية عن الإسلام والمسلمين تاركين الفرصة لمجموعات مؤدلجة من اليمينيين لتشويه صورة الإسلام وأتباعه والتشكيك في ولائهم للثقافة والمجتمع الأمريكي.

يسعى باول باريت في هذا الكتاب إلى تغيير سوء الإدراك السائد لدى معظم الأمريكيين عن الإسلام الأمريكي من خلال تناول الحياة الشخصية والعامة وصراع الهوية والتفاعل المختلط بين الأيدلوجية والثقافة لسبعة نماذج من المسلمين الأمريكيين من ويست فرجينيا إلى أيدهو، ومن ميشيغان إلى نيويورك. هذه القصص التي سطرها المؤلف على صفحات كتابه تعكس مدى التنوع الكامن بين ملايين المسلمين الذين نشأوا في الولايات المتحدة.

وكان السؤال الذي يدور في ذهن الكاتب قبل أن يجري تحقيقاته هو: كيف يعرّف المسلمون الأمريكيون أنفسهم في الواقع الديني الممزق بين التطرف والاعتدال، خاصة في ظل التنوع الكبير لأعضاء المجتمع المسلم من حيث العرق، والخلفية الثقافية التي يتفاوت تأثيرها من جيل المهاجرين والجيل الذي ولد وترعرع في الثقافة الأمريكية. وقد أجاب الكاتب على هذه الأسئلة وغيرها بين ثنايا قصص النماذج السبعة التي اختارها.

أخذ المؤلف القراء في جولة داخل المجتمع المسلم، داخل البيوت والمساجد والتجمعات الخاصة في بيئات ومجتمعات متنوعة من خلال قصص سبعة من المسلمين يعبّرون عن واقع المسلمين الأمريكيين بكل تفاصيله وتعقيداته. في الفصل الأول يتكلم عن أسامة سابلاني الناشر ذي الأصل العربي الذي يعيش في حاضرة العرب الأمريكيين في ولاية ميشيغان، والذي يختزل أزمة المسلمين الأمريكيين بعد ١١ سبتمبر في التشابه بين اسمه واسم أسامة بن لادن.

ويتناول شخصية الباحث خالد أبو الفضل أستاذ القانون الإسلامي بجامعة كاليفورنيا والتي تسبب رسالته المعتدلة للإسلام جدلاً واختلافاً في أوساطهم.

ويتناول شخصية الإمام الذي ينحدر من أصول أفريقية في أحد مساجد بروكلين، والذي كان يوماً عضواً في جماعة أمة الإسلام موضحاً خصوصية الإسلام بين الأمريكيين السود، وتطور العلاقة بين المسلمين السود وغيرهم من مسلمي الشرق الأوسط وشبه القارة الهندية.

ويتناول شخصية الناشطة في مجال الحركة النسوية *اسرا نعماني* ابنة المهاجر الهندي التي تدعو إلى حرية المرأة المسلمة وتنادي بالمساواة بينها وبين الرجل، و قامت بفتح أبواب مسجد والدها أمام النساء دون تمييز بينهن وبين الرجال بنزعها للحاجز بين النساء والرجال في المسجد. ثم يتناول حياة وشخصية متصوّف مسلم، يرى الله في كل مكان على حد تعبير الكاتب.

وعلى الرغم من ازدياد ظاهرة الإسلامفوبيا في المجتمع الأمريكي خلال السنوات الخمس الأخيرة، وفي الوقت الذي تشهد فيه مناطق مختلفة من العالم مشاعر مناهضة للولايات المتحدة' فإن المؤلف باول باريت يرى أن أكبر وأهم وسيلة في مستودع الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب هي مسلموها في حال قدرتها على استيعاب هذه الجالية الإسلامية المتنامية.

ورغم الصورة المتوازنة الإيجابية التي يصورها الكاتب للجالية المسلمة في أمريكا، فإن سرده لقصة معاناة طالب الدراسات العليا في جامعة أيدهو، واعتقاله لفترة طويلة لاتهامه بالإرهاب وانتهاك قوانين الأمن الداخلي، وعودة أسرته إلى السعودية، وترحيله هو شخصياً حتى بعض تبرئته من التهم الموجهة إليه بزعم مخالفته لقوانين تأشيرات السفر، فإن هذه الحادثة وغيرها من الحوادث التي تعرض لها المسلمون في الولايات المتحدة، يزيد من الشعور داخل أوساطها بأن أمريكا تعاملهم على أساس أنهم جزء من مشكلة الإرهاب وأنهم يتحملون جزءاً من المسؤولية عن وقوع هجمات سبتمبر.

وفيما يتعلق بالانتقادات الموجهة إلى المسلمين الأمريكيين والقائلة بعدم سماع أصواتهم في شجب صريح للأعمال الإرهابية، ذكر الكاتب إن بعض المنظمات الإسلامية العاملة في الولايات المتحدة قد أصدرت أكثر من مرة تصريحات واضحة تشجب وتستنكر الإرهاب خاصة بعد تفجيرات لندن، وبرّر المؤلف تردد بعض المؤسسات الإسلامية في انتقاد أعمال العنف والإرهاب التي يقوم بها مسلمون في مناطق مختلفة من العالم من خشيتهم أن يطول ذلك عمليات حماس وحزب الله.

وتوقع الكاتب في حديثه عن المسلمين من السود الأمريكيين أن تتراجع شعبية أمة الإسلام في أوساط السود لصالح التيار الإسلامي التقليدي. وقال إن هناك توتراً بين بعض المسلمين السود وغيرهم من المسلمين السلفيين الذين ينظرون إلى إسلام السود خاصة من منهم في أمة الإسلام على أنه بدعة. كما تطرق إلى الاختلافات في الجالية المسلمة بين السنة والشيعة وإلى الخلافات بين المعتدلين والمتطرفين قائلاً إن واقع المسلمين في أمريكا في هذا السياق لا يختلف كثيرا عن واقعهم في بلاد ومناطق أخرى من العالم ، حيث إن المهاجرين جاؤوا إلى الولايات المتحدة ومعهم خلافاتهم وأيدلوجياتهم المتباينة.

وخلص الكاتب إلى أن المسلمين يواجهون خيارات صعبة في إطار نضالهم من أجل جوهر وحقيقة إيمانهم وعقيدتهم في الولايات المتحدة، خاصة وأنهم ليسوا شيئاً واحداً، وبالتالي فمن الصعب التنبؤ بمن ينتصر في النهاية من أصحاب الأفكار والاتجاهات المختلفة. فذلك لا يعتمد على قناعات وخيارات المسلمين فحسب، وإنما يرتبط أيضاً بتطور الأحداث في الولايات المتحدة والعالم. ولذلك أوصى الكاتب بمجموعة من التوصيات التي ينبغي على الحكومة والمجتمع الأمريكي القيام بها من أجل مساعدة قوى الاعتدال بين الجالية المسلمة. وفي مقدمة هذه الجهود، إدراك من لا يدرك من الشعب الأمريكي بحقيقة وواقع الضغوط التي يتعرض لها المسلمون منذ هجمات ١١ سبتمبر على المستوى النفسي والأمني والحقوق المدنية. كما ينبغي أن ننتقل من مجرد الكلمات الخطابية عن احترام الإسلام إلى التحاور مع الإسلام نفسه. ويرى أن هناك فرقاً بين الإسلام والإرهاب على مستوى السلوك والممارسات

التي يجب أن تتغير. فضلاً عن ذلك يرى المؤلف أنه ينبغي على الرئيس بوش والساسة الأمريكيين أن ينتقدوا صراحة حملات الكراهية ومناهضة الإسلام التي تتبناها شخصيات ومؤسسات مسيحية أصولية في الولايات المتحدة. كما دعا الكاتب إلى تغيير السياسة الخارجية الأمريكية السائدة في الشرق الأوسط خصوصاً في إدارة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، والضغط على إسرائيل من أجل الانسحاب من المزيد من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧. وأخيراً أعتبر الكاتب أن التأكد من عدم انتهاك قوانين الأمن الداخلي ومحاربة الإرهاب وإساءة استخدامها يمكن أن يزيد من ثقة المسلمين بحياد المؤسسات الأمنية مما يساعد على تقوية الأفكار والأشخاص المعتدلين داخل مجتمع مسلمي الولايات المتحدة.

ظهور المفكرين الإسلاميين الجدد

هؤلاء هم "المثقفون المسلمون الجدد". ويضاف إليهم مفكرون غربيون كثر يحاولون جاهدين إجراء دراسات حول الإسلام ونهجه وتطوراته ومستقبله، فمنهم مغالون في أحكامهم ومتحيزون في استنتاجاتهم، ومنهم الواقعيون الذين يمكن الإستفادة من نتاجاتهم.وهؤلاء سيكون لهم دور كبير في المرحلة القادمة في تطوير أوضاع المسلمين في الغرب. وفي تعاظم دور الإسلام هناك.فهم أكثر نشاطاً من رجال الدين التقليديين وأكثر خبرة وأوسع علماً وثقافة.

فالاجتماع الذى تم فى ليدن بهولندا فى ابريل عام ٢٠٠٠، وكان موضوعه يدور حول"المفكرين المسلمين والتحديات المعاصرة".. اجتماع نظمه المركز الدولي لدراسة الإسلام فى العالم الحديث، وشارك فيه ١٤ مفكراً جاءوا من ٩ بلدان مختلفة هى الهند وباكستان وماليزيا ومصر وتونس وإيران، والملحوظ هنا انه لا أحد منهم يمكن تصنيفه فى موطنه أو فى سياقه الأصلى تحت بند "المفكرين الجدد فى الإسلام "، إذ أن هؤلاء المفكرين لا يحملون هذا اللقب إلا فى إطار من أشخاص ومؤسسات غربية. وفي كثير من المؤتمرات الغربية المشابهة والمتخصصة

بالأبحاث الدينية تتم دعوة مفكرين حقيقيين وشديدي الأهمية والقدرات، وبنفس الوقت فهم في بلدانهم لايعتبرون من المفكرين.

إن هؤلاء المفكرين يختلفون مع علماء الدين المذهبيين ومع المفكرين الطائفيين في كثير من النقاط، فمعظم هؤلاء المفكرين الجدد لا ينتمون إلى طوائف بعينها، إضافة إلى أنهم يتناولون مسائل لا يفكر العلماء التقليديون، مجرد التفكير فى طرحها ، ولا يرغب المفكرون العلمانيون فى الإجابة عنها.

إن الحاجة التى أدت إلى ظهور هؤلاء المفكرين المسلمين الجدد تندرج فى إطار عملية ديالكتيكية محددة، فظهورهم كان يستجيب من ناحية ما لتطور الصور والأشكال المحلية الحديثة ، التى تسعى للإجابة عن سؤال:"كيف يمكن ان تكون مسلماً ؟" وهو سؤال يطرح نفسه فى المجتمعات الإسلامية التى تدور فى إطار عام من "إعادة صياغة الإسلام" يشمل العالم كله ..فتتأثر به او تنقسم بسببه بشكل أو بآخر..وبدرجات مختلفة.

ومن ناحية أخرى، فإن الحاجة التى أدت إلى ظهور هؤلاء المفكرين الجدد تأتى فى إطار البحث عن نوع جديد من "الإسلامية العالمية" لمواجهة إرهاصات التحديث وما يطلق عليه أحيانا "الاختراقات" العالمية للحضارة الغربية. ولا يمكن فصل ظهور هؤلاء المفكرين عن تطور وسائل المواصلات والاتصالات العالمية "العولمة"، وهو التطور الذى أدى إلى تغييرات جذرية بدأت منذ جيل كامل فى العلاقات بين المفكرين والقوى القائمة فى المجتمعات الإسلامية من جهة، وعلى الظروف التى تتم فيها التفاعلات فى قلب هذه المجتمعات من جهة أخرى. ولابد من إعادة ترتيب وضع هؤلاء المفكرين وتصنيفهم ضمن دورات النهضة والإصلاح، والتركيز على فكرة وضع مسالة الهوية الثقافية فى قلب الجدل الدائر حول أهداف التعايش.

جهاد الدفاع عن الإسلام

تكثر على صفحات الأنترنيت مواقع معادية للإسلام وتقوم هذه بنشر انتقادات كثيرة للمسلمين وللإسلام، ويطّلع عليها الملايين من الزائرين الغربيين. كما وتنتشر في الغرب كتب ودراسات وتصريحات معادية للإسلام والمسلمين وتلقى هذه الفتن والافتراءات آذاناً صاغية تسعى لمعرفة كل جديد.

وهنا يتعين على المسلمين مواجهة تلك الافتراءات بدراسات جديّة وقوية وتتناسب مع طبيعة العقل الغربي الذي نريد مخاطبته. ومن بين أولئك المعتدين: برنارد لويس الكاتب البريطاني المقيم في الولايات المتحدة الأميركية والناطق الأدبي والأكاديمي باسم اليمين الديني الأميركي المنحاز للصهيونية، وقد وضع برنارد لويس كتابين معاديين للإسلام وهما "ما الذي وقع" و"أزمة الإسلام"، ويمكن تلخيص الأفكار الأساسية لهما في أن المسلمين يكرهون الغرب وحضارته وديمقراطيته وعلمانيته لمجرد أنهم مسلمون، فدينهم وقرآنهم هو السبب في كل هذا، وليس الاستعمار الغربي ولا الاحتلال الأميركي لأفغانستان والعراق، ولا العدوان الصهيوني الأميركي على فلسطين ولبنان.ويعتبر الرد على هذا الصهيوني وعلى افتراءاته عملاً جهادياً إسلامياً، ويعتبر التمكّن من الوصول إلى القاريء الأمريكي وإيضاح الصورة الإسلامية في ذهنه ودحض كلّ الافتراءات الصهيونية نصراً لايقلّ أهمية عن النصر في معركة عسكرية مع الصهاينة.

ولعل أيسر جهاد ممكن أن يقوم به كل واحد منا هو دخوله إلى المواقع الألكترونية المعادية والمساهمة بكتابة نصوص تعرّف بالإسلام وتدافع عن حقيقته، ويستطيع الزائر الضعيف باللغات الغربية الإستعانة بالمترجم الألكتروني وبترجمة كافة النصوص. فتلك لعبة مسلية ومفيدة وبنفس الوقت تؤدي غرضاً جهادياً كبيراً وهو واجباً دينياً إسلامياً.

حوار الإسلام مع الثقافات والحضارات

يقول الله سبحانه في سورة الحجرات:

(يا أيُّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير ١٦)

ان التعارف الذي تدعو إليه الآية الكريمة يقتضي السعي المتبادل لاكتشاف ما عند الآخر من ميزات وخصائص يستفيد منها، وذلك يستلزم ابتداءً التسليم بأن الآخر له ما يُعطي ويقدم للبشرية. ويجري الحوار وفق نقاط الالتقاء والاتفاق، إذ يحذرنا القرآن الكريم من الحوار غير المجدي، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة العنكبوت:

(ولا تُجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالّتي هي أحسنُ إلاّ الّذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالّذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ٤٦)

ويحوي القرآن الكريم كمية كبيرة من الآيات الموجهة للمسيحيين أو التي تتحدث عنهم وعن تاريخ وقصص ديانتهم. مما يعكس اهتمام الإسلام بالمسيحية وبمحاورتها بل وبجعلها عند الإسلام جانباً من الدعوة الإسلامية كلها. فقد خصص القرآن سورة باسم مريم وذكرها بالاسم مرات عديدة وبنفس الوقت فلم يذكر اسم أم الرسول محمد عليه السلام.

مفكرون عالميون جدد

هناك عولمة في داخل الجدل الدائر حول طرق وأساليب التحديث الفكرى والسياسى للمجتمعات المسلمة، وهو الجدل الذى انتهى إلى تقديم "عالم مسلم"، يتكون من "مركز" عربى و"فروع" فى آسيا الوسطى أو فى إفريقيا او جنوب شرق آسيا. أيضا انتشرت اللغة الإنجليزية كلغة "العمل" بالنسبة للمفكرين المسلمين الجدد، على الأقل هى اللغة التى يستخدمونها فى مناقشة أفكارهم. هم يتخذون من "الغرب" موقعاً لهم: ففى الغرب وحده يمكن لكل واحد منهم أن يتخذ موقعه ليتحدث عن ضرورة إعادة هيكلة للفكر المسلم.. لكن عدداً كبيراً

obeikandl.com

منهم كان مجبراً على اللجوء للغرب، لفترة مؤقتة أو دائمة، فى لحظة ما من مشوارهم، هربا من الضغوط التى تتم ممارستها عليهم فى مجتمعاتهم الأصلية. و أسس هؤلاء المفكرون المركز الدولي لدراسة الإسلام فى العالم الحديث، ومركز الدراسات الإسلامية فى جامعة"يونجستاون"، والمعهد الدولى للفكر الإسلامي الذى يقع مقره فى "هرندون" بالولايات المتحدة الأمريكية..كذلك جمعية علماء الاجتماع المسلمين التى تقع أيضاً فى هندرتون، ومركز دراسة الإسلام والديمقراطية الذى يقع فى العاصمة واشنطن، ومركز العلاقات الأمريكية الإسلامية.

إساءات متكررة للإسلام

قال اللواء ويليام بويكين وهو يتحدث فى اجتماع الكنائس: "إنّ المسلمين يعبدون الهاً مزيفاً." وهذه تصريحات خطيرة تسيء للمسلمين ولدينهم. وتتّسم بالعدوانية والوقاحة والطائفية. ويدلّ هذا التصريح أيضاً على وضاعة قائله وعلى جهله وسوء تصرفه. فلم يعد يغرينا اسم شهير أو وظيفة بويكين هذا أو هويته الأمريكية فقوله يدل على سخف وحماقة لاتصدر عن رجال عاقلين.

وفي الرابع من آب ٢٠٠٧ صرّح عضو متطرف في الكونغريس الأمريكي بأن الولايات المتحدة إذا ماهوجمت بأسلحة نووية من قبل متطرفين إسلاميين فإنها ستدمر الأماكن المقدسة لدى المسلمين. وهذا تصريح وقح ويتصف بالحقد والكراهية.

وعندما نسمع مثل هذه الاتهامات علينا أن نحاسب أنفسنا على سبب انطلاقها من الآخر وذلك قبل أن نحاسب الآخر ونتهمه. فقبل عقد من الزمن لم تكن مثل هذه الاتهامات والانتقادات توجّه إلى المسلمين ودينهم، حين لم يكن المسلمون يعلنون عن برامج معاداتهم للغرب.

وعكست تلك التصريحات وماتلاها صورة العدائية المتبادلة بين الفريقين.فقد ركزت حكومة بوش اهتمامها على كسب قلوب وعقول المسلمين الأمريكيين. وبنفس الوقت بدأت حملة مراقبة ومداهمة واعتقال لكثير من المسلمين الأبرياء في الولايات المتحدة، وحملة عدائية واسعة على مسلمي العالم كله. ومنذ بداية تلك الأحداث بدأت حياة المسلمين الأمريكيين تتعسّر. وأصبحوا يعيشون في غربة مقيتة وفي خوف وقلق دائمين.

ثمّ بدأ المسلمون ينظّمون كيانهم وأرسلوا طلبات لإقامة قاعات للصلاة في المدارس العامة تخصص لأبنائهم خلال فترات الاستراحة. وحول هذا الطلب يمكن طرح السؤال، هل تتوفر مثل هذه القاعات المخصصة للصلاة في كافة مدارس الدول العربية الإسلامية؟ ثم لنفترض بأننا قمنا بنقل هؤلاء الأمريكيين المسلمين إلى إحدى الدول العربية فهل سيطالبون سلطات حكومتها باقامة تلك القاعات المخصصة للصلاة في المدارس ؟ وهل سيقاضونها إن لم تخضع لمطالبهم؟. بالطبع فإن ذلك لن يحصل على الإطلاق، لأنهم في بلدانهم الإسلامية سيتخلّون بعض الشيء عن مشاعر التميز والطائفية الدينية. وهذا يعني أنهم يمارسونها هناك بفضل الغربة وعدم التمازج مع الآخر.

لقد اتهم الإسلام في الغرب بأنه دين يحمل العنف في منهجه، وبأنه يقهر المرأة، ويسلبها حريتها. وتم تحميله مسؤولية كافة المشاكل التي تعاني منها الدول الإسلامية. وأمام تلك الأخطار الجديدة يفترض أن يقوم كل مسلم بالتعريف بالإسلام وبإعطاء الصورة الصحيحة عنه. والأهم من ذلك كله أن يكون هو مثالاً صحيحاً ونموذجاً إسلامياً حقيقياً. فلا تصدر منه تصريحات انفعالية تتسم بالعرقية أو الطائفية.

لكن مقابل ذلك رأينا المسلمين في الغرب كله يكرّسون التميّز والانعزال عن المجتمعات التي هم جزء منها. ويفصلون أنفسهم طوعاً عن الآخرين وينكمش التكتّل الإسلامي في كل منطقة ومدينة غربية.وداخل هذا التكتل ومما لاشك فيه

أنهم سيزدادون عزلة وغربة. وسيزداد تبادل الكراهية بينهم وبين مواطنيهم المتعددي الانتماء.

إن كافة الإساءات الصادرة من الغرب تعبّر عن مرضه الاجتماعي وعن قلقه المرضي من الإسلام وعن عجزه على رؤية الوقائع على حقيقتها، فهو لايقدر إلا أن يراها مشوهة. وهذه الإساءات هي من ناحية أخرى تحرش طائفي غربي مقابل صمت عن التحرش الطائفي بالغرب من جهة المسلمين فيصبح المسلمون أكثر وعياً وحكمة وتعقّلاً من الغربيين. يجب ألا ننظر إلى الغرب على أنه أكثر وعياً وحكمة منّا فالغرب يسقط في متاهات ننجو نحن منها بفضل ثقافتنا التي تفوق ثقافته.

تحدّ فلسفي للمسلمين نظرية نهاية التاريخ

في كتابه الجديد الذي يحمل اسم (اذبح اقتل دمر) الذي صدر في العام ٢٠٠٧ يعادي فرانسيس فوكوياما صراحة المسلمين ويدعو للقضاء عليهم. ويعتبر أن المشكلة العالمية القائمة اليوم هي في مواجهة المسلمين. وأنهم وحدهم العقبة في العولمة الأمريكية الكبيرة. وفي كتابه السابق الذي صدر منذ خمس سنوات تقريباً يعرض الأمريكي فوكوياما نظرية جديدة ورؤية عالمية جديدة تسود فيها الهيمنة الأمريكية ويواجه فيها المسلمون باعتبارهم الأعداء الوحيدين.

تحدثت نظرية نهاية التاريخ عن انتصار الليبرالية الرأسمالية على الاشتراكية واعتبرها الأمريكيون الأيديولوجية التي يتوقف معها جدل الإنسان والتاريخ. وإن هذه النظرية تعيد صياغة نظريات صهيونية أو ذات مفاهيم يهودية تعود للقرن الـ١٩ وماقبله، عبّر عنها هيغل وماركس ونيتشية وغيرهم وتتحدث عن أن مسار التاريخ هو مسار خطي متصاعد. وقد جاءت نظرية نهاية التاريخ الجديدة التي أطلقها الباحث الأمريكي من أصل ياباني (فوكوياما) كصيغة جديدة للفلسفة الصهيونية التي اعتقدت بأن المحرقة النازية هي نهاية التاريخ، وبأن تاريخ ماقبل المحرقة قد توقف عندها. وعموماً فأطروحات "نظرية النهاية "هي ظاهرة من ظواهر العالم الغربي

obeikandl.com

المتأثر بالصهيونية. وتكتسي ثوبا وجمالية عصرية، وثبت أنها غير علمية على الإطلاق. وأنها تتحيز لرؤية تاريخ الجنس البشري من المنظور الصهيوني الذي تم منحه صفة الغربي وتتجاهل المساهمات الحضارية الأخرى، وهي وسيلة دفاعية للنسخة الحداثية الخاصة بالحضارة الغربية ضد التحديات التي تواجهها والتي يعتبرها الغرب تشكل تهديداً لسلامة وأمن الجنس البشري. ومن السمات الصهيونية لنظرية النهاية أنها تحاول نفي الدين وإعلان نهايته بينما الواقع البشري يشير إلى عكس ذلك، فالعامل الديني يتصاعد عند المسلمين والمسيحيين واليهود، في العقود الأخيرة. وبات من الواضح أنه كلما حاولت الصهيونية ترويج أفكار ونظريات تسعى لتحييد الفكر الديني الإسلامي والمسيحي فإنها في نفس الوقت تقوم بتعميق الانتماء الديني اليهودي. ونظرية نهاية التاريخ هذه تسعى لتسطيح الفكر الديني عند المسلمين والمسيحيين انطلاقاً من عقائد دينية يهودية، أي اعتماداً على تعميق العقيدة اليهودية وسعياً لبث عقائدها وسيطرة نفوذها كبديل (لاسمح الله) عن الديانتين السماويتين.

ونتج عن النظريات الصهيونية محاولات تجديد للمسيحية بطريقة تخدم الصهيونية، إذ نكتشف بسهولة أن دعوات تجديد المسيحية في الولايات المتحدة تعني ترجيح المسيحية الصهيونية على كافة الكنائس المسيحية الأخرى. وتحت ذريعة العلمانية الحديثة يجري استقطاب المسيحية العربية. ويحمل تجديد المسيحية مباديء التغلب على الفصل الثنائي بين الإله والطبيعة والعقل والوحي والأخلاق والنظم الاجتماعية. وحدث تقارب بين منظّري العلمانية والمرجعيات الدينية بحيث يدعم العلمانيون المناشط الدينية ويتبنى رجال الدين "لاهوتاً" أكثر مرونة، وهذا اللاهوت المرن، ليس سوى محاولة لتسطيح المسيحية الدينية، لتفسح المجال لسيطرة الصهيونية اليهودية. وهناك توجه جارف لبناء ما يسمى "لاهوت ما بعد الحداثة" الذي لا يعادي العقل أو العلم أو المذاهب الأخرى الدينية نظرياً، بل يعزل دورها ونفوذها في حقيقته. وإنّ لاهوت مابعد الحداثة ليس سوى نسخة أخيرة عن "لاهوت مابعد أشويتز" الذي ابتدعته الصهيونية اليهودية فيما سبق. وتجري في السنوات الأخيرة محاولات

لنقل هذا المركز المزعوم وهذه الفلسفة العنصرية من الولايات المتحدة إلى أوروبا عن طريق الضغط على الاتحاد الأوروبي. ثم وفي ٢٠٠٧ أصدر فوكوياما كتابه الجديد بعنوان اذبح اقتل افتك.! وفيه يحتّم المواجة النهائية بين الغرب والمسلمين ويدعو للتحضير لتلك المواجهة التي يتوجب فيها (حسب عنصريته) إهلاك المسلمين تماماً.

تطرف الإعلام الغربي

الحديث عن الإعلام الغربي وتقييمه لابد أن يشمل بعض أنواع الإعلام المسمى بالعربي والذي قامت إدارات الغرب بتأسيسه وبمنحه صفة العروبة واستمرت بتوجيهه. ويمكن أن نكتشف المؤسسة الإعلامية التابعة للغرب بعد تقييم نتاجها لمدة طويلة، وبعد تقييم نتائج ثقافتها، والفكر الذي استطاعت أن تبثه لمتابعها. ويجب الانتباه إلى الفضائيات الخاصة الكثيرة الناطقة بالعربية والمتنوعة البرامج فإن القسم الأكبر منها موجه ومدعوم من الصهيونية والسياسة الأمريكية. فقد أعلن بوش الصغير بوضوح منذ الهجوم على مركز التجارة العالمي عزمه على الاهتمام بتوجيه الإعلام الأمريكي (المفسد) للعقل العربي.

بي بي سي العربية إذاعة الطائفية

منذ تأسيسها تؤدي إذاعة ب ب س العربية دوراً إعلامياً مفيداً للمواطن العربي، وبرغم تعدد الإذاعات وانتشار الفضائيات فلايمكن الاستغناء عنها نظراً لتنوع برامجها ولتخصصها بالتحليلات الإخبارية وبإتاحة فرص كبيرة للمستمعين العرب بالنقاشات المفتوحة والمفيدة.

لكن ومنذ دخول الجيش الأمريكي والبريطاني إلى العراق توضّح انحياز الإذاعة البريطانية لسياسة الأمريكيين والبريطانيين.

ومع هذا الانحياز الشديد الوضوح، لوحظ تخصص الإذاعة البريطانية بنقاشات التطرف الإسلامي مع الانحياز الواضح فيها لخلق نعرات طائفية وعرقية، وافتعال

خلافات داخل كل مذهب إسلامي. كما لوحظ فيها توجيه الأنظار إلى آراء وانتقادات متنوعة حول أصحاب المذاهب الإسلامية الضعيفة الانتشار كاليزيدية والبهائية والأحمدية والصابئة.

وتقوم BBC بالبحث عن أخبار وأحداث صغيرة تحمل سمة الطائفية لم ينتبه إليها أحد أحياناً، وتقوم بتعظيمها وتسخيرها لتعميق الخلافات والاقتتالات بين المسلمين. فتعدّ برامج طويلة عن هذه الأحداث الصغيرة التي لم تعرها الوكالات الأخرى أية أهمية، وتجري حوارات تستفز بها المتحاورين والمستمعين. (ومن تلك الأخبار مثلاً قولها: تقدم مواطن يزيدي بشكوى إلى الحكومة العراقية..).

ومن خلال التتبع الطويل والمستمر لنتاجها أمكننا تحديد هذه النقاط:

مع بداية الغزو الغربي للعراق صاغت ال BBC دورة برامجية جديدة تخدم موقف الغزاة بوضوح، فأصبحت الإذاعة بنتاجها إذاعة حرب عسكرية.

اتخذت الإذاعة قواعد جديدة صارمة نلاحظها في برامج الحوارات الكثيرة والطويلة، ومنها : منع المحاور من ذكر آية قرآنية أو حديث نبوي كشاهد على رأيه. وفي هذه الحال يلجأ المذيع دوماً إلى اسكات المحاور أو تحييده عن ذكر النص القرآني أو إخراجه من الحوار نهائياً. ومن ناحية أخرى نلاحظ أن المذيع يحاول إسكات المحاور الذي يدافع عن مبدأ وحدة إسلامية ، وإسلام واحد ، ووحدة عربية، وتحاور حضاري بين المسلمين أنفسهم. وتحاور حضاري بين الإسلام والمسيحية أو بين الإسلام والغرب. وبنفس الوقت يقوم المذيع بتشجيع المحاور الذي يتحدث عن وجود طائفية ومذهبية وعن اتساع الخلاف بين الشرق والغرب، وعن انتقاد لأي نوع من البنى الإسلامية والعربية. وهذا المحاور المنتقد سيعطى وقتاً طويلاً في الحوار.كما لوحظ أن المذيع يحاول الإيقاع بالمحاور وسحب بعض العبارات والمواقف منه تلك التي لايريد هو قولها. لكن أسلوب المذيع وضغوطاته تفرض على المحاور أن يتأوّل مالايريد قوله، اذ يقول المذيع كثيراً للمحاور: "... أنت تضع اللوم اذاً على الدين!؟؟ فماهو الحل برأيك؟؟ .." أو يقول المذيع للمحاور : ". أنت ترى أن المشكلة في الإسلام نفسه اذاً.." ومن طريقة الرد والجواب يتبين لنا أن المذيع أراد

obeikandl.com

إيقاعه في ورطة. فالمذيع خبير في فنون قيادة الحوار وإيقاع المحاور. وما إذاعة BBC إلا نموذج من الإعلام المضاد والكثيف الذي يوجّه ضد المسلمين في العالم كله.

راديو سوا إذاعة القيامة

من أهم الأعمال الإعلامية التي ابتدعتها عبقرية جورج بوش الفذة لمحاربة العرب والمسلمين، كانت فضائية الحرّة وراديو سوا. ومن شدة عبقرية بوش أنه أوقف إذاعة أمريكية قديمة كانت تسمى صوت أمريكا، وكانت تحوي برامج حضارية ومفيدة، وكانت قادرة على جذب المستمعين ومنحهم فكراً وثقافة وأخباراً وفوائد عديدة. وبحلول راديو سوا محل صوت أمريكا نفهم أن جورج بوش لايريد أن يمنح المستمع العربي أية معلومة مفيدة. بل يريد أن يضع مستمعين جدداً في فوهة بركان دائم. وهذا مايفعله راديو سوا. إنه إذاعة موجهة لأشخاص غير موجودين على الإطلاق في الوطن العربي كلّه. إنه إذاعة معركة تدور رحاها طوال ٢٤ ساعة، وتلك المعركة الإعلامية لامبرر لها عند أحد من المستمعين العرب. إنه إذاعة تدمير وإحباط وفوضى دائمة وضجيج وهلوسة، والمستمع العربي ظلّ دوماً أكبر من تلك المحاولات التضليلية السخيفة. إنه إذاعة تدمير لكافة القيم العربية والإسلامية والوطنية، وإنّه الإذاعة الوحيدة التي لم تلق أذناً واحدة صاغية من المحيط إلى الخليج. هذا هو المشروع الإعلامي الذي اعتبروه قنبلة العصر، والذي تحدث عنه جورج بوش عدة مرات، والذي جاء نتيجة لدراسات وأبحاث ومخططات سياسية وإعلامية أمريكية. وتبين من ذلك المشروع أن واضعيه الحكماء لايعرفون شيئاً عن شعوبنا. ونعتقد بأن هذا الإعلام الوطيء سيختفي بعد رحيل جورج بوش.

الاتجاه السلبي في العلاقة مع الغرب

انّ مايحدث بين الإسلام والغرب في السنوات الأخيرة يمكن تسميته بأدلجة متبادلة للعلاقات سلباً.وهذه الأدلجة مستمرة بين الطرفين وهي تتصاعد كل يوم،

obeikandl.com

ويتم تغذيتها باستمرار وبكثافة بحيث لايظهر أيّ تأثير يذكر لمحاولات البعض القليل برتق التمزقات وبمحاولات التقريب بين الجانبين. وإن الجهود والمحاولات التوفيقية بين الجانبين تنطلق من الجانب الغربي بقدر ماتنطلق من جانب المسلمين، وهذا يعكس الرغبة الغربية الحقيقية في التوفيق بين المسلمين والغرب كله. ورغم تبادل هذه المحاولات التوفيقية الضعيفة فإن موقف العدائية والاتهامات، وهو السائد، يكبر ويتعاظم وتتم تغذيته في أوساط الطرفين.

وماهذه إلاّ ثقافة تسميم متبادلة تتسم بالإنكار والتشكيك. إذ يقوم كل جانب بنكران الآخر تماماً وبالتشكيك به.وفي الوقت الذي يتهم المسلمون الغرب بأنه يمتلك معايير ازدواجية ويتعامل بها مع العرب والمسلمين فإن المسلمين أنفسهم يمتلكون تلك المعايير ويتعاملون بها مع الغرب.حتى أصبحت هذه المعايير مشتركة عند الفريقين ومتبادلة.فالمسلمون عموماً يسكتون عن إدانة أعمال العنف التي تستهدف الغرب، (ونقصد بها تفجيرات لندن ومدريد) ورغم صدور بعض التصريحات عن المؤسسات الرسمية من هنا وهناك فإن الرأي السائد في الشارع الإسلامي وهو الأكثر أهمية وهو الذي يدلّ على الحقيقة السائدة، وهو السند المعبّر عن فكر الأمة الإسلامية هذا الرأي يسكت عن تلك الاعتداءات ويبررها ضمناً على أنها إحدى مستلزمات معركة الإسلام مع الغرب.

فنون تعكس الوحدة الثقافية الدينية

صورة للمسيح تتماهى مع صورة لأسامة بن لادن

عرضت في إحدى صالات سيدني الفنية لوحات جديدة من نوعها وأحدثت ضجة كبيرة وغضباً في الأوساط المسيحية. ولم يعلّق عليها المسلمون هناك. وقد أثارت مسابقة للفن الديني انتقادات بسبب بعض الأعمال الفنية التي تضمنتها وأظهرت صورة للمسيح تتماهى مع صورة لأسامة بن لادن. ويعكس هذا الفن الجديد مفهوم الغربيين تجاه أسامة بن لادن وتجاه المسلمين عموماً. ونحن كمسلمين وانطلاقاً من حبنا الكبير وتعظيمنا للسيد المسيح فإننا لانتقبّل مثل هذه الرسوم التي تشبّه المسيح

برجل عادي من بيننا. فللمسيح مكانة عليا وسط الأنبياء وهذه المكانة تجعله أسمى من هذه التشبيهات. ومما لاشك فيه أن كافة مشايخ المسلمين يؤيدون هذا الرأي.

تمثال للعذراء يرتدي البرقع الأفغاني

كما كان في نفس المعرض السابق وبين الأعمال التي أثارت استهجان البعض تمثال للسيدة العذراء يرتدي البرقع الأفغاني.

وفي هذه الأعمال الفنية تقارب ديني ما. وتفاعل بين الإسلام والمسيحية. هذا التفاعل كان حاضراً في أذهان الفنانين الذين ابتدعوا تلك الأعمال. ويذكر أن كافة الأعمال الفنية التي تصوّر العذراء تجعلها ترتدي حجاباً يغطي رأسها. وغالباً مايكون هذا الحجاب أبيض اللون. ويعتقد فنانو ومؤرخو الغرب بأن هذا الحجاب هو من أصل سوري. ويطلقون عليه اسم (فولارد سيريان) ولّما كانت كافة الصور تلبس السيدة العذراء فولارا – حجاباً إسلامياً حسب مفهومنا - فليس جديداً كل الجدة أن تلبسها صورة حديثة برقعاً أفغانياً أزرق اللون. ولأنّ العالم المسيحي اعتاد أن يصوّر العذراء برسوم وتماثيل متنوعة فنحن نذكّر بأن إسلامنا الذي يمنح العذراء مكانة سامية بين نساء البشرية يمنعنا من تشبيهها بأي صورة متخيّلة يبتدعها فنّان.

اتهام هيفاء وهبي بالإساءة للمسيحية

اتهمت هيفا في لبنان بالإساءة إلى الكنيسة والمسيحيين، بسبب ظهور صليب ضخم على الحائط، في خلفية مشهد استعراضي راقص نفذّته مع مجموعة فتيات في فيديو كليب وغضب المطران جورج رحمة من الموضوع، وأشار رحمة إلى أن الاتصالات الهاتفية انهالت عليه، منتقدة العمل "الذي يمسّ مباشرة مشاعر المسيحيين". لكنه يستدرك ويقول إن *الكنيسة لا تملك سلطة إلا على أبنائها، ولا نستطيع فرض أي حكم على هيفا، لكونها مسلمة* كما يقول. واعتبر رحمة أن مسؤولية المؤسسة الدينية تكمن في منع كل ما يمسّ القيم الروحية والأعراف والتقاليد، مذكراً بحادثة سابقة، حين تدخّلت الكنيسة منذ ٨ سنوات، ومنعت

فرقة موسيقية غربية من إحياء حفلة غنائية في لبنان، بسبب كلمات أغانيها المهينة للمسيح والديانة المسيحية. ويدلّ الاحتجاج الكنسي اللبناني على أمرين مهمين: فالكنيسة اللبنانية العربية محافظة على قيمها الدينية وهي تتميّز بهذا عن كنائس الغرب التي تسمح بأعمال كثيرة تسيء للمسيحية وللمسيح نفسه أحياناً. فالكنيسة اللبنانية ملتزمة بالقيم الدينية وهي بذلك توازي المدارس الإسلامية الملتزمة بأحكام الدين. ثم إن المنطق الديني الإسلامي يحتج على أعمال تسيء للمسيحية ويحتج على التعري والخلاعة داخل كنيسة يقوم المؤمنون بالعبادة فيها. وإن الإحتجاج على ماصوّرته هيفا لايرتبط بكونها مسلمة شيعية فهي بأدائها الفني تتصرف وفق الثقافة العامة الدارجة في لبنان والوطن العربي وهذه الثقافة هي مزيج وبنفس الوقت فهي نتاج ثقافي اجتماعي عام هو بنفس الوقت موجود عند المسيحيين والمسلمين. وهذا المزيج الثقافي هو المسؤول عن تصرف هيفا، وهو من ناحية أخرى دليل على الوحدة الثقافية بين المسلمين والمسيحيين العرب. فقبل أن أطّلع على هذا الخبر كنت لا أستطيع أن أقرر بأن هيفا مسلمة أم مسيحية ذلك لأن الثقافة العربية واحدة.

الغرب وتحدي الأصولية الإسلامية

لقد وقع الغرب في متاهة وورطة بصدامه مع الأصولية الإسلامية. ولن يستطع أن ينقذ نفسه من تلك الورطة. خاصة وأن تلك الأصولية أصبحت من أصل غربي وأوروبي ومسيحي. ولن يقدر الغرب على مواجهة الأصولية الإسلامية كما هو واضح. فقد ثبت أن الدول الإسلامية هي الأقدر على مواجهة هذه الأصولية. وثمة عدة أسباب لذلك. فلبنان الذي يوصف بالضعف السياسي والبنيوي والأمني استطاع أن يقضي على معقل كبير للأصولية في مخيم نهر البارد. بينما الغرب يبدو اليوم متورطاً في معركته مع الأصوليين الإسلاميين ولن يقدر على وضع حدّ لهذه الظاهرة بل إنها تتزايد وتنمو باستمرار في الغرب كله وتصبح كل يوم أكثر خطراً على الغرب كله. ذلك لأن الغرب ليس مسلماً بشكل عام وهنا يكمن السبب في عجزه المستمر.

يفسر الغرب الأصولية الإسلامية انطلاقا من أطروحات متباينة وهو ما يؤدي إلى خلاصات سياسية متعارضة. ومما لاشك فيه أنّ الغرب متوتّر ومرتاب في شأن مواجهة الأصولية الإسلامية. فهو يقوم بأعمال تجريبية كثيرة ويخطيء في الكثير منها. وخيارات الغرب في هذا محدودة، لأنه أضعف من مواجهة تلك الأصولية رغم صغر حجمها.

وتتخبط تصريحات الغرب وتتناقض كثيراً مما يدل على عجزه عن المواجهة. وسيظلّ الغرب يتخبط في مشاريع المواجهة لأنّ حسابات الأرقام والحاسوبية التي يعتمد عليها في مواجهاته لايمكن أن تفيده في فهم ومواجهة التطرف الإسلامي. فقد وقع الغرب فعلاً في ورطة مواجهة الأصولية ولن يخرج من هذه الورطة أبداً إلا بواسطة الحوار الحقيقي والمتوازن معها.

أطروحة الصدام الحتمي بين الحضارات

من الأطروحات الأكثر شيوعاً اليوم تلك التي تشير إلى الصدام الحتمي بين الشرق المسلم والغرب المركّب العقائد. والتي تفسر الأصولية كرد فعل على الإمبريالية الغربية وتربطها بحركات أخرى منتمية إلى العالم الثالث. وعلى العكس تدافع عن أطروحة "صراعات التحديث" التي لا ترى الأزمة الحالية صراعاً بين الغرب والإسلام بمقدار ما هي نتيجة لصراعات داخلية تنبع من مسار التحديث في العالم الإسلامي.

فكرة أن العلاقات بين الغرب والإسلام لا تسير على ما يرام فكرة راسخة لدى مواطني العالمين كما يظهر ذلك استبيان مركز أبحاث (Pew) فغالبية من تم استجوابهم في البلدان الغربية كما في البلدان الإسلامية اعتبروا أنها سيئة. على سبيل المثال كان ذلك رأي ٦١٪ من الأسبان، لكن ما يلفت الانتباه هو أنه من بين كل العينات المستجوبة في ١٣ بلداً ظهر مسلمو أسبانيا الأكثر تفاؤلا فقد اعتبر أكثر من نصفهم أنها علاقات جيدة. أبرز ما يأخذه المسلمون على الغربيين، حسب نفس المركز، هو كونهم أنانيين وعنيفين ومنحطين أخلاقياً، وفي المقابل يرى الغربيون في المسلمين أشخاصاً انفعاليين وعنيفين.

أما عن سوء الفهم المتبادل على أسس دينية صرفة فيظهر استبيان أجراه نفس المركز عام ٢٠٠٥ أن ٦٣٪ من الأتراك و٥٨٪ من المغاربة و٥٧٪ من الإندونيسيين صرحوا بأن لديهم صورة سلبية عن المسيحيين والغالبية في كل البلدان الإسلامية لديها صورة سلبية عن اليهود. رأي الغربيين عن المسلمين ليس بهذا السوء لكن ٥١٪ من الهولنديين و٤١٪ من الألمان و٣٤٪ من الأسبان يصرحون حسب الاستبيان المشار إليه بأن لديهم صورة سيئة عن المسلمين وتنخفض هذه النسبة بشكل معتبر في المملكة المتحدة والولايات المتحدة.

وبالتأكيد فإن وضع القيم والتصورات السائدة في البلدان الإسلامية والغربية في مواجهة يعتبر تبسيطا إذ لا شك أن هناك قيما مشتركة، وفي بعض المجالات هناك اختلاف كبير بين البلدان الغربية نفسها كما يبدو ذلك الاختلاف أكبر بين العديد من البلدان الإسلامية. الديمقراطية مثلا تمثل قيمة متقاسمة وبالرغم من أن بلدانا إسلامية قليلة تنعم بها فإن أغلب المواطنين فيها يقاسمون الغربيين التوق إليها. وبحسب استبيان فإن نسبة من يؤيدون الديمقراطية تتراوح ما بين ٨٥٪ و٩٨٪ في العالم الإسلامي كما في العالم الغربي. على المستوى الديني الفروق كبيرة، وإذا كان المسلمون يتميزون بتدينهم فإن ما يستحق الملاحظة هو الفرق بين الأوروبيين والأمريكيين، ففي الرد على سؤال (ما أهمية الله في حياتك؟) في استبيان وضع الرقم ١٠ كحد أعلى والرقم ١ كحد أدنى جاءت النتيجة في أكثر من نصف البلدان الإسلامية فوق الـ ٩، لكن نفس الأمر حصل في المكسيك وشيلي. الأرجنتين والولايات المتحدة جاءت فوق الـ ٨ بينما جاءت أسبانيا تحت الـ ٦ وهبطت في كل من بريطانيا وفرنسا والسويد تحت الـ ٣,٥ . ولإثبات الفرق بين الدول الإسلامية نفسها فلا شيء أفضل من إلقاء نظرة على معدل الأبناء لكل سيدة: في أفغانستان واليمن أكثر من ٦ وفي فلسطين أكثر من ٥. أكثر من ٤ أطفال لكل سيدة في العراق وباكستان والسعودية، لكن أيضا طفلان فقط لكل سيدة في إيران وتونس. ويصل المعدل إلى فوق الاثنين بقليل في إندونيسيا والجزائر والمغرب. وللمقارنة نذكر أن نفس المعدل في الولايات المتحدة هو ٢ وفي فرنسا ١,٩ وفي ألمانيا

وإيطاليا وأسبانيا ١,٣ وإذن إلى حد بعيد تتقاطع قيم الحياة الخاصة فالأمريكيون والفرنسيون والإيرانيون يتقاسمون إلى حد ما نفس العقلية.

لكن وبالرغم من كل الدلائل التي تؤكد الاختلاف الداخلي في كلا العالمين فإنه لا بد من الاعتراف بأن سوء التفاهم الحالي بين الغرب والإسلام يمثل مشكلة خطيرة لأن العلاقة بين هذين الطرفين مفصلية بالنسبة لمستقبلنا. من خلال النظرة الأوروبية تحديداً لدى العلاقة مع الإسلام أهمية أساسية وذلك على الأقل لأربعة أسباب: قابلية التوتر في العالم الإسلامي، والعوز الأوروبي في مجال الطاقة وموجات الهجرة والذي أدى من بينها جميعاً إلى أن تتحول قضية العلاقة بين الغرب والإسلام إلى قضية بمنتهى الأهمية هو تدويل الإرهاب الجهادي الذي ترجم في عمليات لا تميز أحداً تستهدف المدنيين الغربيين. هذا العامل يطغى على العوامل الثلاثة الأخرى المشار إليها فالسباق نحو الإرهاب جعل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي أكثر دموية وكذا الأزمة اللبنانية والجزائرية، وفي هذه الأيام يحصل الشيء نفسه في العراق،.

وإنّ مشاركة مسلمين أوروبيين في عمليات ارتكبت في أوروبا وانطلقت منها يعتبر العنصر الأكثر إثارة للقلق في العلاقة مع الجاليات المسلمة في أوروبا. الإرهاب الذي يدعي أنه استجابة لنداء إلهي بالدفاع عن الإسلام يشكل المظهر الأكثر عنفاً لحركة أوسع تسمى عادة بطرق مختلفة: الإسلاموية، الأصولية الإسلامية، والإسلام المتشدد، هدفها هو إخضاع المجتمعات المسلمة لحرفية النصوص الأولى للإسلام، وهذا الاتجاه للعودة إلى الأصول يصاحب رفضاً صارماً لغالبية القيم الأساسية للحداثة التي يقدمها الإسلاميون الأصوليون على أنها بدع قادمة من الغرب لا تتواءم مع الإسلام.

ولمعرفة حجم التهديد على الغرب الذي يشكله الإسلام الأصولي وتحديداً الإرهاب الجهادي لا بد من تحديد الجذور التي تشرح الظاهرة بشكل أفضل. وإذا بسطنا الأمر قليلاً فيمكن القول إنه تم اقتراح ثلاث أطروحات وهي صدام الحضارات، وردة فعل العالم الثالث، وصراعات التحديث.

إنّ الطرح الغربي المنحاز يفسّر الإرهاب الجهادي كتواصل، بأساليب جديدة، للتمدد الإسلامي الذي بدأ في زمن محمد [صلى الله عليه وسلم]. ويعتبر أن القاعدة تستأنف ضد الغرب الصراع الذي خاضه الأمويون والمرابطون والموحدون والعثمانيون. ويزعم هذا الطرح أن أيديولوجيا بن لادن تجد لنفسها جذوراً في القرآن نفسه الذي يحوي نداء لقتال غير المؤمنين. ومن يتبنون هذه النظرية يعتبرون أن كل الإسلاميين لديهم نفس الهدف كما يرون في مسلمي أوروبا طابوراً خامساً كامناً. وعليه فيعتبر الغرب نفسه في صدام مع الإسلام كالصراع الذي خاضه الغرب ضد المعسكر السوفييتي.

لا شك أن الإسلاميين المتشددين وحتى الإرهابيين الجهاديين يؤسسون فكرهم على نصوص إسلامية مقدسة والنداءات الواردة فيها للجهاد ضد غير المؤمنين. من جانب آخر فإن التعاطف لدى قطاعات واسعة من المسلمين مع الأصولية الإسلامية وحتى مع "الإرهاب" الموجه ضد الغرب يفسر جزئياً بالشعور بالظلم تجاه الغرب وهو شعور ليس آتياً من فراغ.

رؤية أخرى للأزمة

هذا طرح آخر للمشكلة يعكس اتجاهاً شائعاً بين قطاعات مهمة من المثقفين الغربيين مؤداه تحميل الغرب كل شرور العالم. وعلى هذا الرأي فالإسلاموية حسب هذا الطرح ليست ظاهرة دينية ولا هي تواصلاً للمد الإسلامي بأساليب جديدة بل إنها رد فعل على الإمبريالية الغربية. فالخطيئة الأولى كانت الاستعمار الأوروبي وتفاقمت المشكلة بإنشاء دولة إسرائيل الغربية وتبعتها التدخلات الغربية في العالم الإسلامي وبالدعم الغربي سواء لإسرائيل أو لأنظمة عربية. وفي الجملة تمثل الإسلاموية، فضلاً عن خطابها الديني، مظهراً جديداً للحرب ضد الإمبريالية، وهي في النهاية رد على ظلم النظام الدولي الذي أقامه الغرب. ومع كون هذا الطرح يتقاطع مع النسبية الثقافية فهو يقدم دوماً مصحوباً بنقد للادعاء بأن القيم الكونية التي يدافع عنها الغرب هي أرقى من القيم الإسلامية.

إنّ المقاربة المؤسسة على صدام الحضارات ستحول مجرد الصعوبات في العلاقات البينية إلى مواجهة لا يمكن حلها. وعلى أرض الواقع لا يوجد صدام كوني فالأزمات التي يعاني منها العالم الإسلامي ليست في أغلبها نتيجة صدام بين الإسلام والغرب بمقدار ما هي أزمات أهلية داخل المجتمعات الإسلامية. الصراع في العراق على سبيل المثال، وإن بدأ بسبب القرار غير الخاطئ الذي اتخذه بوش وحلفاؤه بالتدخل في العراق، فإنه في جوهره صراع طائفي بين الشيعة والسنة، وتكفي نظرة على ضحايا التفجيرات لفهمه. كذلك فإن الأقليات المسلمة في أوروبا لا تشكل طابوراً خامساً معادياً وإن كانت تظهر فيها نزعات فردية إلى التشدد. لكن الأهم هو أنه لمحاربة الإرهاب الجهادي فليس من الحكمة إعطاؤه الحجة ليثبت أن الإسلام والغرب غير قابلين للاتفاق. بل على العكس سيكون التعاون الأمني مع الحكومات الإسلامية ذا جدوى كبيرة.

التعاون الأمني مع الحكومات الإسلامية يؤدي دون شك إلى الصدامي الذي لا ينبغي اتباعه لمن يتبنون نظرية "رد فعل العالم الثالث" المعضلة أنه بالموافقة على هذا الطرح فلن يكون تقريباً بإمكان الحكومات الغربية عمل أي شيء: تعزيز العلاقات التجارية مع العالم الإسلامي سيعتبر تشجيعاً لعولمة ينظر إليها بسلبية، والتدخل في مهمات سلام في بؤر النزاعات كأفغانستان مثلا سيعتبر نمطاً من الإمبريالية، ودعم الحكومات الإسلامية القائمة سيعتبر تواطؤاً معها، وانتقاد الأصولية الإسلامية سيكون إظهاراً للعنصرية والمركزية الغربية. ومن هنا فهذا الطرح ينتمي إلى عالم النقد الثقافي أكثر مما ينتمي إلى العمل الحكومي، غير أنه بمجرد أن يحظى بحضور إعلامي وثقافي قد يمكنه نزع الشرعية عن السياسات المتبعة.

أسباب تطرف الشبّان

كثيرة هي الأسباب التي قدمها الدارسون لتفسير تصاعد أوج الأصولية وليس من السهل تقييم الأهمية النسبية لكل منها. فمن العوامل المهمة دون شك الشعور بالهزيمة وأشواق الماضي المشرف والمعاناة من بعض نتائج التحديث، ورد فعل الهوية

ضد النفوذ الغربي، والحاجة إلى آفاق للأجيال الشابة، واستخدام التقنيات المعلوماتية. وفي حالة مسلمي أوروبا: الشعور بالتهميش في المجتمع الذي يعيشون فيه.

لدى العالم الإسلامي والعالم العربي بشكل خاص، باستثناء الثروة البترولية، القليل من الأسباب للشعور بالرضا عن إنجازاته في العقود الأخيرة. فمستوى حياة الشعوب متردّ ومن ثم فوحدها مجموعة صغيرة من البلدان الإسلامية الغنية بالبترول هي التي توفرت على معدلات نمو مرتفعة. ورغم ثراء منابع تلك الدول فإننا نجد فقراء معدمين في مجتمعاتها. كيف لنا أن نقبل بأن الدولة التي تصدر أكبر منتوج من النفط عالمياً هي نفسها نجد في مجتمعاتها آلاف الشحاذين المنتشرين في الطرقات والأزقّة.؟.

يتمتع العالم الإسلامي بموارد لها أهميتها على الصعيد الدولي بينما يغيب له أي حضور مهم في مجالات العلم والتقنيات والثقافة والرياضة. ويتعزز الشعور بالهزيمة، وخاصة في العالم العربي، بسبب التوسع الذي تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، وهي الدولة الصغيرة المكونة من أقلية دينية طالما عاشت متفرقة بين المجتمعات العربية. كل هذا يخلق شعوراً متقاسماً بالخيبة وخاصة لدى أمة تشعر بأنها تملك زمام الحقيقة الدينية الكونية وتتذكر ماضياً مليئاً بالأمجاد.

الهوية الإسلامية رد فعل على الخطر الغربي

يرى الكثير من المسلمين في الغرب تهديداً مزدوجاً. في قوته الاقتصادية والعسكرية وخاصة في حالة الولايات المتحدة ومن جانب آخر في نفوذه الثقافي الذي ينظر إليه كمصدر للانحلال الأخلاقي، الذي يخشى المسلمون أن يمسّ أبناءهم. وإن ٦٠٪ من الأردنيين والمصريين والإندونيسيين والأتراك والمسلمين البريطانيين يرون في الغربيين – حسب استبيان مركز (PEW) أناساً منحطين أخلاقياً.

لكن هذه النسبة تنخفض إلى الـ ٣٠٪ في حالة المسلمين الأسبان والفرنسيين والألمان(٧).ومقابل مايراه المسلمون الغربيون من أخطار غربية على ثقافتهم ودينهم ومجتمعاتهم يطفو على السطح تمسكهم بالدين وقيمه.

بل ويذهب البعض أكثر من ذلك فيتمسكون بالموروث الثقافي الدخيل على الإسلام. وآخرون يصبحون متطرفين أو حركيين. وينطبق رد الفعل هذا على المسلمين في العالم كله.

انعدام الآفاق للأجيال الشابة

تزداد جاذبية الأصولية وحتى الإرهاب الجهادي بسبب انعدام آفاق تستوعب الأجيال الجديدة التي تلاقي مصاعب جمة في الحصول على فرص عمل تناسب تطلعاتها ، وهذا الأمر هو نتيجة الركود الاقتصادي إضافة إلى التحولات السكانية وهي أمور حصلت في البلدان الإسلامية وفي العالم الثالث عامة بشكل أسوأ مما حصل قديماً في الغرب.

لقد انخفضت نسبة الوفيات بسرعة وبالرغم من أن نسب الخصوبة بدأت في الانخفاض فإن الوضع الحالي هو الزيادة الكبيرة في نسبة الشباب، وبعبارة أخرى فإن من يدخلون سنوياً إلى سوق العمل هم أكثر بكثير قياساً إلى قدرة النظام الاقتصادي على توفير فرص شغل لهم.

هذا الأمر يتقاطع مع ما أبرزته دراسة أجريت على مستوى العالم من أن الزيادة في نسبة الشباب تعتبر مؤشراً ذا علاقة إحصائية قوية جداً بظهور النزاعات المسلحة.

صراعات التحديث الإسلامي

لابد من الرجوع إلى الطرح القائل بأن الأصولية الإسلامية والإرهاب الجهادي ينبعان من احتقانات داخل المجتمعات المسلمة لكن يمكن فهمها في إطار المسار الكوني للحداثة. ففي القرون الثلاثة الماضية عرفت البشرية تغيراً جذرياً في البنى

obeikandl.com

التي تحكم حياتها سيؤدي بها بالضرورة إلى أقلمة نظمها القيمية والقواعد التي تمليها عقلياتها التقليدية، وهذه الأزمة يمكنها في نفس الوقت تسهيل صعود أيديولوجيات شمولية تتبنى استعادة القيم التقليدية أو فرض قيم أخرى عن طريق اللجوء إلى العنف والتسلط. ففي أسبانيا مثلت "الفرانكوية" محاولة لفرض قيم أسبانيا الإمبراطورية وقيم الكاثوليكية المتزمتة على مجتمع متعدد، وفي أوروبا في القرن العشرين قادت المحاولات المثالية لإقامة عالم جديد على قطيعة مع التقاليد الإنسانية للغرب إلى الانحرافات الستالينية والنازية. ولم يكن طريق التحديث لا في أوروبا ولا في آسيا الشرقية سلمياً ولا معبّداً بل صاحبته طيلة القرن العشرين أزمات على درجة عالية من العنف. ومن هذا المنظور التاريخي لن يكون مفاجئاً أنه في الكثير أيضاً من البلاد الإسلامية تعبر مسيرة التحديث التي بدأت في القرن العشرين مصحوبة بانتشار للأزمات وازدهار للأيديولوجيات المتطرفة. ومن المؤكد أن الأصولية الإسلامية – وعلى خلاف النازية والستالينية والماوية – تتأسس على مبادئ دينية تقليدية ومثلها الأعلى ليس في المستقبل بل في ماض مثالي، لكن يجدر التذكير بأنه في أسبانيا كانت الحروب الدينية التي أدمت كل القارة خلال القرنين الـ ١٦- والـ ١٧ تحضيراً لأوج العلمنة التي بدأت في القرن الثامن عشر، ومثلت تجربة "خينربا دكالبينو" خصوصا تجربة حكم لا هوتي وهي من حيث مراقبتها للحياة الخاصة للمواطنين لا تبتعد تماماً عما تسعى إليه الأصولية الإسلامية.

الصراعات والحروب

تساهم الصراعات والحروب بين الشرق والغرب في تعميق الخلاف بين الطرفين. حكومات وشعوباً. ومن جديد أصبحت هذه الصراعات علامات استفهام كبيرة تدعو شعوب الشرق والغرب للتفكّر بالأسباب والبحث عن الحلول. وأصبحت هذه الصراعات والتي هي عدوانية غربية للمسلمين. أصبحت علامة استفهام كبيرة للغربي اكتشف من خلالها زيف أنظمة حكوماته ونفاقها وأكاذيبها. وبالتالي أصبحت عاملاً إيجابياً في أسلمة أوروبا ومناصرة الغربيين للقضايا الإسلامية.

الحل السلمي للصراعات يعتبر بالتأكيد عاملاً مهماً للتقدم وهو أيضا أساسي لتخفيض شعور المسلمين العدائي تجاه الغرب. ومن الصعب طبعاً التفاؤل على المدى القريب، إذ تبقى المخاوف قائمة من أن يتواصل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ومن أن يتأخر الوصول إلى تفاهم ينهي حالة الحرب الأهلية في العراق، ومن أن يؤدي البرنامج النووي الإيراني إلى ضغوطات خطيرة.

وكل هذا قد يفرض على القوى الغربية الاستبدادية اتخاذ قرارات صعبة وغير مضمونة النتائج. وقد يوقع المنطقة في أتون حرب ضروس مدمرة.

إنه ليس أمام العرب والمسلمين سوى التفاوض مع الشعوب الغربية واستمالتهم والتحاور معهم وضمّ أصواتهم إلى صوت الحق وعزل قرارهم عن قرار النظام الحاكم المستبد في الغرب. ونقصد بالشعوب الغربية هنا قطاعات الجماهير والمجتمعات المدنية والدينية والهيئات الأخرى ورجال الثقافة والفكر والصحافة وغيرهم.

النظام العالمي القائم

تعاقبت على مدار القرون الخمسة الفائتة مجموعة من الدول الكبرى في الهيمنة على العالم. مثل (الدولة العثمانية)، ثم إسبانيا والبرتغال، وبعد الحرب العالمية الثانية استقرت الهيمنة على العالم للاتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة.

ومنذ عام ١٩٩١ بدأت الولايات المتحدة تمدّ سيطرتها على العالم وتعمل على إقامة نظام عالمي جديد.

وبدأت الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي بالبحث عن طاقة جديدة تكون البديل عن البترول الإسلامي في حال قام المسلمون بقطعه عن الغرب. بل إن الدول القوية قد تقوم بتدميره حين لاتعود بحاجة له وتحرم دول النفط من الاستفادة منه أو تسخير عوائده ضد الغرب.

عرف المفكر الاستراتيجي الأميركي جوزيف ناي "القوة" بأنها: "القدرة على التأثير في الأهداف المطلوبة، وتغيير سلوك الآخرين عند الضرورة بالقوة أو بالثقافة أو بالضغوط الاقتصادية".

وترتبط القوة بالموارد، فتكون المحصلة التطبيقية لفهم القوة ومصادرها بالنسبة للدولة هي امتلاك عناصر معينة امتلاكاً متفوقاً أو مؤثراً، مثل السكان، والإقليم الجغرافي، والموارد الاقتصادية الطبيعية والتجارية، السياسي. وتضاف اليها الصناعات.

والعدد الكبير للسكان يشكل مورداً كبيراً للدولة يعطيها زخماً اقتصادياً وصناعياً، واقتصاداً قوياً. ولعلّ أهم سبب في انهيار الاتحاد السوفيتي كان في ضعف انتاجه واقتصاده.فالاقتصاد هو القوة الرئيسية لبناء الدول والأمم.فبرغم قوة الولايات المتحدة وهيمنتها غير المسبوقة على العالم، فإنّ قوى شعوبية أخرى تهدد هذه الهيمنة، فكثير من الدول بدأت تلتفت إلى تقوية اقتصادها كاليابان وروسيا والصين والاتحاد الأوروبي. الأمر الذي يمكّن هذه القوى في النهاية من تهديد الهيمنة الأمريكية الحالية على العالم.

وقد بدأ الاتحاد الأوروبي يفرض نفسه كقوة مؤثرة اقتصادياً وسكانياً وعسكرياً. وبات على وشك منافسة الولايات المتحدة وتحييدها. وفي معركة الهيمنة هذه يدرك الغرب امتلاك العرب المسلمين لكافة عناصر القوة التي تمكّنهم في أي وقت من التوحّد وبسط السيطرة على العالم. كما أن الإدارة الأمريكية والدول الغربية عموماً تخطط وتبني استراتيجيتها ومشاريعها على اعتبار أنّ العالم الإسلامي كتلة جغرافية وحضارية واحدة. فللردّ على أعمال القاعدة اتخذت الدول الغربية إجراءات تستهدف كافة الشعوب الإسلامية من الشرق إلى الغرب، بل وأضافت عليهم المسلمين الأوروبيين. وبهذا كانت توحّد بين المسلمين جميعاً. ومن هنا فالأجدى بالمسلمين أنفسهم أن يشعروا بهذه الوحدة ويتعاملوا على أساس وجودها.

فرغم أن العالم الإسلامي متشرذم وتسود بين دوله الخلافات أحياناً ويضاف إلى ذلك التناقضات بين الحركات الإسلامية والحكومات،ورغم تبعية بعض

الحكومات الإسلامية للسياسة الأمريكية فإن أمريكا والغرب قلقون من الإسلام كله وليس من الحركات الإسلامية فحسب، وهم لايفرّقون بينهم، وتعتمد سياسات الغرب على هذه الرؤية التي يوحدّون من خلالها المسلمين كافة. ومن هنا كان تهديد باكستان، وغزو العراق، وتهديد إيران وسورية، رغم أنّ هؤلاء جميعاً لايمثّلون تنظيم القاعدة بشكل من الأشكال. بل يختلف أغلبهم معه، وتقوم الحكومات الإسلامية بقمعه.

النهضة الإسلامية ممكنة

النهضة الإسلامية لاتعني كما يتصور البعض عداء الإسلاميين للحكومات أو السلطات. ولاتعني أيضاً التحزب ضمن حركات إسلامية والعمل بداخلها ووفق أنظمتها، والنهضة لاتعني معاداة الغرب ولاتعني محاربته. فتلك هي موروثات خاطئة عن فهم النهضة الإسلامية. ومن الطبيعي أن تكون نهضة فكرية وثقافية وتطويرية داخل المجتمع الإسلامي، وأن يكون هدفها بناء المجتمع الإسلامي وتطوير علاقاته مع الآخر. وأن تسعى هذه النهضة للتعريف الصحيح بالإسلام والدعوة لاعتناق هذا الدين السماوي الحنيف.

يتعين على المسلمين الانتباه إلى تحقيق مشروع نهضوي إسلامي حقيقي، والذي يمكن تحقيقه بالفعل، ويتطلب ذلك الاستعلاء الكبير عن كل أنواع الفكر والفعل الذي يعيق هذه النهضة. وإذا كان لدى المسلمين مشروع أكثر إلحاحاً وضرورة لإنجازه فإنه هذا المشروع النهضوي. وبإمكان مسلم أن يساهم بمفرده في هذا المشروع، حين يلتزم بمقومات النهضة ويقوم بالدعوة إلى الإسلام والتعريف به، وحين يكون نموذجاً وصورة إيجابية تعبّر عن دينه. والنهضة الإسلامية ليس من الضرورة ربطها بالحركات الإسلامية. إذ من الملاحظ أن أغلب الحركات الإسلامية تنشغل بما هو غير نهضوي، وتحيد عن طريق النهضة الذي هو أهم جانب مفيد للإسلام والمسلمين. والنهضة توكيد للقيم المثالية التي تعد أفقاً يتحرك تاريخ الوعي والفعل البشريين نحوهما. إنها توكيد لإنسانية الكائن الإنساني وكرامته،

بوصفه كائناً واعياً وحراً وأخلاقياً. والنهوض حركة وعي بالذات، وتوكيد على القيم المميزة للكائن الإنساني، ككائن واع وحر وأخلاقي.ولابد من إدراك الشخصية الحضارية ومقوماتها، والعمل على تعميق الإحساس بالهوية،والاحتراس من الوقوع في محاذير الانغلاق والانكماش. وإنه لا نهضة للعالم الإسلامي خارج شرط وعيه بذاته، أي خارج مقوماته الحضارية الذاتية. وإنه ليس بإمكاننا أن نخطو الخطوة الأولى بهذه النهضة مادمنا مشرذمين طائفياً وعرقياً وفكرياً.

أهمية الوحدة الثقافية

تتوجه الأمم والشعوب في مختلف القارات نحو التقارب والتضامن والاتحاد، انطلاقاً من الضروريات الحياتية العديدة لهذه الأمم،فالولايات المتحدة هي اتحاد بين كيانات وشعوب تمتلك فيما بينها كافة أنواع الفروقات والخلافات التي عرفتها البشرية، فهناك ياباني قام الأمريكيون منذ نصف قرن بإلقاء القنبلة النووية في بلاده،ورغم ذلك فقد نسي الماضي القريب وانضم إلى الأسرة الأمريكية الكبيرة.بينما نحن نعتمد باتهامنا للمسلم الآخر على نص غير مؤكد وغير موثوق كتبه البغدادي في مخطوط (الفرق بين الفرق) أو عثرنا عليه في كتاب الملل والنحل.

ويشمل الاتحاد الأوروبي شعوباً كانت تتقاتل منذ نصف قرن تقريباً، وقد قتل في الحربين العالميتين أكثر من خمسين مليوناً من الأوروبيين، أي أن الأوروبي الذي سعى للوحدة الأوروبية ربما شهد هو الحرب والقتل وربما فقد أحد أفراد أسرته. ورغم ذلك غفر لتلك المظالم والجرائم ونسي الماضي القريب وسعى للاتحاد مع الجميع.

وحدة المسلمين رغم تعدد مذاهبهم

هذه الأمة التي اختارها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس يجب أن تكون أمة واحدة لقوله سبحانه في سورة "المؤمنون":

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ٥٢).

ووجوب وحدة هذه الأمة يرجع إلى أن إلهها واحد وأصلها واحد ونبيها .وقد تأسست هذه الأمة على مبدأ الوحدة مع التسليم بوجود التعددية فيها. وأول تمثل للتعددية في الإسلام كان في تعدد الأعراق والألوان واللغات والعادات والثقافات، ولم تمثل تلك التعددية أي مشكلة في وحدة الأمة آنذاك.بل كانت رادفاً لعناصر الوحدة الإسلامية.وهذا يعني أنها ممكن أن تكون اليوم رادفاً للوحدة الإسلامية المنشودة.فاليوم لاحاجة لتوحيد المذاهب الإسلامية كما قد يتصور البعض. لأن توحيد المذاهب لن يتم بهذه السهولة. ومن الجائز أنّ التاريخ الإسلامي القادم كله لن يشهده على الإطلاق.

بل إنّ الحاجة تدعو لتحقيق الوحدة في هذه الأمة. مع الإبقاء على تعدديتها. وذلك يقتضي تضافر أفكار وجهود المخلصين من أبنائها من علماء وسياسيين وتربويين ومثقفين وإعلاميين وأفراد عاديين. يقول الله سبحانه في سورة الحجرات:

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم. ١٣".

ويقول عز وجل في سورة النور مؤكداً أن هذا الاختلاف آية من آياته في الكون:

(ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم٢٣)

وقال عزّ وجلّ في سورة هود:

(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ١١٨)

ويقول الله سبحانه مؤكداً تأكيداً صريحاً لالبس فيه على وحدة الأمة الإسلامية:

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

obeikandl.com

وقال سبحانه في سورة آل عمران:

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ١٠٣)

وفي هذه الآية أمر إلهي صريح على إقامة الوحدة الإسلامية. فالوحدة الإسلامية يعمّ خيرها على المسلمين جميعاً وعلى الشعوب الأخرى. وهي التي تمكّن المسلمين من الصمود في وجه المخططات الغربية التي تضعف المسلمين وتحتل جزءاً من بلدانهم وتقتل أبناءهم. والوحدة الإسلامية هي التي تمكّن المسلمين الغربيين من الصمود أمام العدائية التي تستهدفهم. والوحدة الإسلامية التي هي آتية لامحالة، ستكون سنداً في تمكين مسلمي الغرب من بسط سيطرتهم على جزء من أوروبا في العقود القادمة.

obeikandl.com